شهرزاد

31 Scheherazade

العدد ٣١ — ١٠ مليمات — ١٦/ ٤/ ١٩٣٠

شهرزاد

لصاحبها ورئيس تحريرها محمد المرصفى

الاشتراك بالقرش المصرى
٦٠ للجمهور فى مصر
٤٠ للطلبة « «
١٠٠ مع الجديد للجمهور « «
٧٠ « « للطلبة « «
وللخارج بزيادة ٣٠ ص لكل مجلة
الادارة : ٦٤ شارع فؤاد (بولاق)
تليفون ١٢ - ٥٣ مدينة

SCHEHERAZADE
Directeur - propriétaire :
MOHAMED EL MARSAFI
DIRECTION - ADMINISTRATION
64, Avenue Fouad 1 er
Tel : Madinah 53 — 12

فهرس قصص العدد الحادى والثلاثين

م ٢٤٨ ص ٤ - ناظر المدرسة - قصة واقعية تنفرد شهر زاد بتفاصيلها
« ٢٤٩ « ١١ - كذبة ابريل
« ٢٥٠ « ١٤ - الأستاذ مرسى افندى يحاول الهرب من زوجته - ليلة لا يتصورها العقل
م ٢٥١ ص ١٩ - ورقة الآس الاسباتى
« ٢٥٢ « ٢٨ - تنقذها من خطيبها الذى تمقته ثم يتزوج منها
« ٣٥٢ « ٣٩ - الشرطى رقم تسعه
٤٢ - الآنسه جوفر - الجزء - ٤ - الفصل ٣

فهرس للصور

١٢ — مارى تنفر في وجه بيلى
٢١ - جيردا تعانق دايل
٢٢ - استانلى يمسك ورقتى الآس
٢٣ - جيردا تتزين وتتجمل
٢٤ - جيردا تجزع لمصاحبة دايل امرأة غيرها
٢٨ - ايرين تؤنب دافيس
٣٢ - دافيس يناجى ايرين بالحديقة
وفرانك يطل عليهما
٣٨ - الشرطى يمسك بيد كلود ويقذفه عن السيارة
٤٠ - كلود يجلس بين يدى باملا ليحافظ عليها
٤٤ - روبير يصل الى لويز
٤٩ - لوبى تقدم قدح القهوة الى لويز

صورة الغلاف

للممثلة السينمائية الشهيرة

« اليس هوايت »

تعلن إدارة الجديد أن لا علاقة للمسيو فيكتور منيونى بأى عمل من أعمال الادارة سواء فى « الجديد » أو فى « شهر زاد » منذ شهرين — وهو غير مسيو فكتور سالومون الموظف بالجمعية الزراعية

ناظر المدرسة

واقعة صحيحة تنفرد شهرزاد بتفاصيلها

تحت ظل نخلة صغيرة وعلى جانب الطريق الموصل الى منزله جلس «عبد الحليم» الغلام الصغير يخيط ثوبه الممزق بابرة وخيط استعارهما من البيت القريب منه.

فقد كان يخشى أن تراه والدته على هذا النحو فتضربه ضربا أليما وتحرم عليه العشاء فى ليلته، وكان سبب تمزيق ثوبه الرخيص الثمن أنه اشتبك مع غلمان مثله في معركة بعد ان كانوا يلعبون معا فناله من أيديهم ضرب ولكم وتمزيق ثوب.

وكان جالسا على الأرض وقد نزع ثوبه وهو كل مايستر به جسده، وضم أطرافه على صدره، ثم بدا نصفه الأعلى اسود البشرة طفت عليه الأوساخ كأنه رأس نخلة محترق، وكان يشتد به ألم الهزيمة فيبكي وينشج، ثم تمر بذا كرته حادثة فكهة فيضحك، ثم يذكر وعيد أمه فترتسم على وجهه أمارات التفكير فى الخلاص من قسوتها بحيلة

وكانت تمر به طوائف من ساكني القرية فلا يحسون بقربه منهم الا اذا أرسل هو في أثر واحد منهم ضحكة ساذجة بلهاء، وأخيراً راعه أن تمر به «عائشة» بنت شيخ البلد السابق حاملة الطعام الى اخوتها في المزرعة

كان «عبد الحليم» الصغير يخشى هذه الفتاة ويتهيب لقاءها، ويحذر أن يقع نظرها على نظره، ولم يكن يعرف سر هذه الخشية، وما كان يرهق عقله البسيط في ادراكه فهو فى شغل بما هو فيه عن هذا كله

ومرت به الفتاة متثاقلة الخطى فقد كانت تحمل على راحة يدها اليمنى وعاء به فضلات الجبن وقليل من «المش» وفى يدها الأخرى «قلة» محطمة الفم مخضرة اللون لطول عهدها، وأرسلت من ذراعها منديلا ممتلئا بخبز الأذرة الذى يشيع فى طعام القرويين

وابتسمت الفتاة فى وجه «عبد الحليم» لتحية صامتة فسارع هو الى ارتداء ثوبه وأجاب على تحيتها باغماض عينيه، كأنه يعرب لها عن خجله واستحيائه من موقفه، وبدلا من أن تتابع الفتاة خطواتها الى حيث يترقب اخوتها طعامهم جلست تخيط له ثوبه وكان قد انتهى من أغلب ما يحتاج الى الخياطة، ثم عرضت عليه بلهجة سخاء غير متكلف أن يأكل قطعة من الخبز وقليلا من الجبن لأنها تعرف مضايقة أهله له وشدة معاملاتهم وسوء تقتيرهم

«عبد الحليم» هو الابن الأصغر لسيدنا الشيخ «حسين» فقيه مكتب القرية، ومأذونها، وامام المسجد فيها وسكرتير عمدتها فى كثير من الاحيان، ولسيدنا الشيخ حسين أبناء خمسة غير «عبد الحليم» زوجهم جميعا واتخذ كل واحد منهم منزلا خاصا، وغامروا فى طلب الرزق بسواعدهم المفتولة وقواهم المتجدده يعملون فى زراعة أغنياء القرية ويجهدون في الحصول على عيشهم وعيش زوجاتهم وأطفالهم

وبقى عبد الحليم في منزل والده، وقد كان أبوه يطمع فى أن يرث عنه وظائفه العدة، ولهذا أدخله المكتب تحت رعايته وأسلمه الى شيخ أعمى ينوب عنه في تحفيظ الأطفال آى القرآن الكريم، ولكن الغلام كان متمرداً بطبعه فهجر المكتب وعكف على اللعب في طرقات القرية الضيقة

وعمل والده على أن يرده الى المكتب بكل وسيلة

فلم يستطع. وكان الوالد قد أدركته بواعث الهرم لكثرة ما عاناه فى سبل الحياة، فرضى عن حالة ولده مكرهاً مضطراً

كان سيدنا الشيخ « حسين » بدينا مفرط الطول يرسل لحيته حتى تقعد على صدره، ثم يقصها حتى يبدو كأنه حليقها، وكان مصابا ببعض هنات من « المكيفات » المنعشة يبتلعها فى خفية من الأعين، وقد أثرت هذه السموم على بدنه فترهل لحمه وانهدت قواه، ولكنه لم يتخل عن القيام بوظائفه العدة، وكان يضيف اليها بعض الأحيان التصدر للفتوى فيما يعرض للقرويين من شئون دينية، ويشهد الحق أن « سيدنا » لم يكن يتقيد فى كثير من الأحوال بالنصوص الواردة، وانما يعنى بتقدير ظروف من يستفتيه، فقد طلب منه بعض أغنياء القرية ذات مرة أن يفتيه في أنه أكل فى ليلة الجمعة « بصلا »

لم يعمد « سيدنا » إلى الكتب الفقهية ولا الى المراجع التى يعول عليها وانما أصلح من وضع عمامته فوق رأسه وراح يروى لصاحبنا الغنى حكاية يبتسم لها التاريخ وهذه هى الحكاية :

ـ كان أحد خلفاء المسلمين ـ ويشك « سيدنا » فى هل هو هارون الرشيد أو سواه من الخلفاء ـ قد تفتحت شهيته ذات ليلة لأكل « مخلل بصل » وبعد أن تناول العشاء على المائدة الملكية تذكر أن هذه الليلة ليلة الجمعة المباركة فبعث بخادمه الى سيدنا الامام أبى حنيفة رضى الله عنه ولما عرض عليه المسألة أمره بأن يتصدق على الفقراء بقدر من المال، وقد تصدق الخليفة، وفى الليلة التالية رأى فى منامه ملكا من السماء يهتف به، أنه لولا الصدقة لخسف الله بملكك الأرض جزاء أكله مخلل البصل »

عند هذا أمن الحاضرون على رواية الشيخ. وامتصوا شفاههم. ثم أخرج الرجل الغنى حافظة نقوده وأعطى « سيدنا » قدراً منها يوزعه على الفقراء!

كان هذا شأن « سيدنا »: ما يجيب سائلا حتى يروى له قصة تنتهى بتكفير ذنبه بقدر من المال، أما اذا كان طالب الفتيا معوزا فعندها يتحدث « سيدنا » عن رحمة الله وعفوه وغفرانه فيسرى عن المسكين ما يضيق به صدره، وينفد الشيخ بتقبيل يده ثلاث مرات!

وكان « سيدنا » الشيخ حسين يذكر دائما أنه سوف يموت وليس له من أولاده من يرثه فى مناصبه الدينية الكثيرة، ثم يذكر أن هذه الثروة البالغة وذلك التراث العتيد سوف يظفر به الشيخ « عبدالباسط » الذى هجر التعليم فى الأزهر بعد ثلاث سنوات لهذا الغرض والذى هو دائب على مضايقته والحملة عليه فى كل مجلس، فكثيرا ما كان الشيخان يجتمعان فى مضيفة أحد الأعيان واذا بالشيخ « عبدالباسط » الطالب الأزهرى القديم يسأل الشيخ « حسينا » عن الحكم الشرعى فى « رجل سقطت عمامته فبطلت صلاته »

ولم يكن الشيخ « حسين » يعرف الجواب على هذا اللغز الغامض الذى لم يوجهه اليه إلا لينزل بقدره ومكانته في نظر أهل القرية وليدلهم على أنه رجل جاهل فكيف يرضونه مأذونا لبلدتهم وكاتب عرائضهم وخطاباتهم وفقيها فى شئونهم الدينية وغير الدينية ؟

ويحار الشيخ « حسين » فى هذا الذى تسقط عمامته فتبطل صلاته ويضل به العقل من الاهتداء اليه، ولكنه أخيرا يلجأ الى شىء من المغالطة والتضليل فيجاوب زميله

ـ سيبك انت من الكلمات اللى زى دى. طيب أنا راح أسألك سؤال بس ان كنت فطيم « فطين » تقدر تجاوبنى عليه، ايش قولك يامولانا فى شىء يتاكل قبل العصر فى رمضان ؟

ويحار أيضا الشيخ « عبدالباسط » في هذا الشىء الذى يؤكل قبل العصر فى رمضان وما يدرى أية « رخصة » تجيز الفطر في رمضان لصنف من الطعام، ويظل يضرب رأسه بقبضة يديه دائما يستوحى ذهنه الشريد حل هذا الطلسم المعقد، ولكنه لا يجد لهذا حلا فيعمد كذلك الى المغالطة والايهام ويقول لزميله :

ـ ياخى ياعم الشيخ « حسين » انت عاوز تعملهم على أنا كمان ؟ دى زى « الفزوره » اللى يستهجوها العيال الصغيرين، لأ ! أنا راح أسألك في النحو، أعرب لنا كده قول الشاعر :

بثينة شأنها سلبت فؤادى
بلا ذنب أتيت به سلاما

ويعجز الشيخ «حسين» عن اعراب هذا البيت ويعتذر عن عجزه بأنه ترك النحو والصرف والبيان منذ زمن بعيد، وهكذا يظل الشيخان في حوارهما حتى تدرك السآمة الحاضرين فيمضون الى شئونهم ويتركون الشيخين يتعاتبان على هذا العنت والتحدى

وبعد سنتين توفى الشيخ «حسين» الى رحمة الله فوثب الشيخ «عبد الباسط» يطالب بحقه فى مناصبه الكثيرة، وكان ابنه «عبد الحليم» قد أربى على العشرين ولم يكن أبوه قد ترك شيئاً يذكر الا بيتاً من الطوب النيء، وحمارة وخمسة رءوس من الغنم، وتزاحم الشيخ «عبد الباسط» و «عبد الحليم» على منصب المأذونية وحجة الأول أنه سلخ عمره فى الأزهر الشريف وان كانت سجلات الأزهر تؤكد انه لم ينتسب يوما الى هذا المعهد، وحجة الثانى أنه جدير بهذا المنصب بحكم الوراثة وفوق هذا فهو يعرف كيف «يفك الخط» ولم يجد «العمدة» بدأ من أن يرجح في تزكيته الأول على الثانى إثر زيارة ليلية قام بها قريب للشيخ «عبد الباسط» وشد فى نهايتها على يد حضرة «العمــدة» مؤكداً الرجاء والأمل!

ولم يكن للمأذونين قبل اليوم امتحان ولا تقدير للشهادات، ولهذا فان شهادة «العمدة» أوصلت الشيخ «عبد الباسط» الى مؤمله وأبقت أخانا «عبد الحليم» الى جانب الجدار!

ورأى «عبد الحليم» أن يحتفظ «بمكتب» القرية الذى خلفه له أبوه، فهو يجلس مبكراً فى الصباح على عتبته وبين يديه قطع صغيرة من الجريد الأخضر ومحبرة وأقلام، ثم يدخل الأولاد متكاسلين متهيبين وقد تأبط كل منهم «رغيفاً» فاذا مر الصبى «بسيدنا» الجالس على قطعة من «الحصير» تناول يده فقبلها ثلاث مرات وفى كل مرة يلطم بها جبهته، ثم يسلمه «الرغيف» ويجلس فى مكانه ليعيد استذكار لوحه «الصفيح» وعند ما تتم الجراية يلفها «سيدنا» بمنديل كبير ويرسلها الى المنزل مع أحد الأولاد الذين يظفرون بثقته والذين لم يثبت عليهم يوما ما أنهم عبثوا «بالأمانة» وتناولوا بعض «الأرغفة» قضما والتهاماً!

وفى صباح يوم الأربعاء من كل أسبوع كان ينتظر «سيدنا» من كل تلميذ «الاسبوعية» وهى تعنى قدرا من النقود يدفعه التلميذ بحسب حال أبويه من يسر وضيق وتبدأ عادة بالخمسة المليمات الى أن تنتهى الى القرشين، وعلى الرغم من هذا كله ومن أن «سيدنا» كان يدعى الى قراءة «الختمات» على أرواح الأموات ويطعم عشاء لذيذا ويعطى قدرا من المال. على الرغم من هذا وذاك فقد كان مضطربا حائرا لا يستقر في معيشته على نحو محدود أو نظام مستقيم

لهذا أعلن تخليه عن مهمة التعليم وسعى بجهد الى أن يكون «شيخ خفراء» فى زراعة احدى الشركات، ولم يكن هذا المنصب متفقا مع مظهره الدينى كفقيه مكتب ولكنه كان متفقا مع ضخامة جسمه واستواء قامته وقوة عضلاته، ومضى فى هذه الوظيفة يتملق مفتشيها الأجانب وينزل عن كرامته وهم يتفكهون بصفعه على قفاه، غير أنه اذا خلا الى العمال فتل شاربيه ونفخ بطنه وراح يأمر هذا وينتهر ذاك، وشد ما كان يضرب صغار العمال بقسوة حتى كرهوه وأبغضوا رئاسته عليهم

وكانت «عائشة» التى تحدثنا عنها طفلة قد بلغت سن الزواج فاحتجبت في البيت، وكان احتجابها اعلانا من أهلها عن طلب زواجها، فتقدم الى خطبتها شاب متوسط الحال ولكنه يمت الى عائلة عريقة في المجد، وكان هذا الشاب واسمه «على» بشع المنظر فقدت عينه اليسرى فى عملية طب من دجال مشعوذ، ونقش مرض الجدرى على وجهه آيات الدمامة والقبح، وكانت «عائشة» تحن الى «عبد الحليم» الولد الشقى كما كانت تنعته فعندما بلغها خبر زواجها من «على» واعتزام أهلها الرضاء بهذا الزواج بعثت الى «عبد الحليم» من يبلغه هذا الخبر ويهمس في أذنه بأن «عائشة» غير راضية عنه

وكان أهل العروسين فى غفلة وشغل بتهيئة معدات الزواج ولم يكن أحد يعلم أن «عائشة» تهز رأسها اعتراضا على زواجها فقد ألزمتها التقاليد أن تخضع وتطيع

وهذه التقاليد ليست وليدة اليوم بل أنها ترجع الى العهد الذى كان المصريون فيه يقدمون أجمل بناتهم الى النيل (السعيد) حيث كانت طبيعته فى شبابه أن يتزوج في كل سنة من فتاة جميلة !

وبينا العروس جاد فى بيع بعض مواشيه لاستكمال نفقات الزواج، وبينا أهله فى فرح دائم يجتمع له النسوة فى ردهة المنزل للغناء والطبل والزمر ، بينا هـذا يجرى اذا باهل القـرية يفاجئون ذات صباح بأن « عليا » العروس قد وجد مذبوحا وسرق منه المهر الذى كان يريد تقديمه الى عروسه

كانت هذه الجناية المريعة مبعث دهشة وحزن شديد تد تناقلتها الأفواه وراحت الظنـون تكشف كل حين عن قاتل جديد . وأخيرا وبعد أن عجز رجال التحقيق عن الوصول الى الجانى وأعياهم البحث والاستقصاء ألقى الستر على هذه الجناية وخفتت الضجة حولها

وفى جوف الهدوء والسكينة استطاعت العقول أن تشير بالتهمة الى شخص معـين عرفوا أنه كان ينوى الاقتران « بعائشة » وانها هى كانت تعلن رضاءها عن زواجها به، ولما لجت الألسن فى هذا الاتهام الى حد أن أهل القتيل اجتمعوا على الأخذ بالثأر ، اختفى من القرية « عبد الحليم » وسافر فى جنح الليل الى القاهرة

وأيد هـذا الاختفـاء التهمة وزاد فيها دليـلا قويا ، ولئن كان القاتل قد اختفى هرباً من القصاص فان شريعة القرويين تحض على الأخذ بالثأر من أقاربه ، وهكذا سمع أهل القرية ذات ليلة طلقا ناريا وصوت استغاثة ثم عرفوا أخيرا أن « سيدا » ابن سيدنا المرحوم «الشيخ حسين» وشقيق عبد الحليم قد قتل بطلق نارى وأن قاتله مجهول .

استقرت قدما عبد الحليم على أرض القاهرة وفي صدره نوازع شتى من الحيرة والاضطراب والخوف ، وكان يرتدى زى « المشايخ » عمامة وجبة وقفطانا وكانت لحيته قد استطالت ، ولما أن أتعبه الطواف فى طرقات لا يعرفها جلس على قهوة حقيرة فى أحد الأحياء الوطنية ، وكان يجلس على مقربة منه شخصان تلوح عليهما السذاجة والغباء ، كانا يتحدثان عن شئون خاصة بهما فالأول يشكو زوجته ويلعن الساعة التى تزوجها فيها ، والثانى يتألم من معاملة رئيسه له ويسخط على كبريائه وغطرسته ، وكان عبد الحليم قد وعى شيئا من هـذا الحديث ، ولـكنه حرص على ألا يظهر لهما استماعه لما قالاه . وبعد حين اقترب منهما فى جلسته ووضع رجلا فوق رجل وهز رأسه صائحا بالشكوى من الزمان وعنت الزوجات وصلف الرؤساء ، فوثب هذان الجالسان وقد تملكتهما نشوة من الدهشة والذهـول لاعتقادهما بان هذا « الشيخ » قد اطلع على المغيب من سرهما فقبلا يده وقدماه الى أهل « الحتة » فى مظاهرة وتقدير لكرامته

وشاع الخبر في الحى بأن الشيخ «عبد الحليم» رجل أسرار وأنه ولى من الأوليـاء وطافت السخافة بكل مكان تروى « كراماته » حتى

لاحظ أن « الجديد » هى المجلة التى تستطيع أن تتركها فى يد حرمك وأولادك وأنت آمن مطمئن

أصبح في مركز خطير يقصده الجميع ويؤمن بولايته الجميع ويحدب عليه الجميع

وبقى « عبد الحليم » القاتل اللص عامين فى أرغد عيش ، وهو وان كان لا يصلى الا أن العامة تعتقد أنه يصلى فى الكعبة ، وان كان لا يصوم غير أن له عذرا فى عدم الصوم لأنه « رجل ولاية » والأولياء لا خوف عليهم ولا هم يحزنون

وأخيرا شاء الله أن يكشف عن حقيقة هذا الأمى الزائف اذ اتصل باحدى الأرامل وكانت غنية موسرة ولبث يوهمها بأنه قادر على شفائها من مرض عصبى حتى استنفد مالها وحتى زكمت المعاطس بروائح سيرته المريبة معها فاجتمع أهل الحى وأشبعوه ضربا ولكما وقذفوه بعيدا عن حيهم

وعاد « عبدالحليم » الى الطواف فى الطرقات . لعله يهتدى الى سبب من أسباب التعيش ، وكان مظهره ينم عن هيبة ووقار ، وفى احدى الحارات أمسك به شخص وفاوضه في أن يكون « معلما » بمدرسته حيث أن « المعلم » القديم قد استقال - أو على الأصح - قد هرب بمصروفات المدرسة بعد أن تجمع له مرتب سبعة شهور

لم يكن « عبدالحليم » مستعدا لهذه المصادفة المباغتة ولم يكن استعداده العلمى جديرا بهذا المنصب ، ولكنه حينما ولج حجرة الدراسة رأى من بين التلاميذ من يكبره سنا ، ورآهم يتزاحمون عليه ويحشون أذنيه بنكات وفكاهات ضاحكين مستهزئين ، فلم يجد بدا من أن يغامر واياهم فى هذا اليم ، وأن يبادلهم النكات ويدخل واياهم في « قافية » ولبث على هذا النحو شهورا يدرس لهم فن « التنكيت » مضيفا اليه سذاجته القروية مما حببه الى نفوس التلاميذ الكبار وحرضهم على مصافاته والتودد اليه

ولم يكن « عبدالحلم » يظفر من مرتبه الا « بشلنات » يتناول الواحد منها فى أسبوع بعد إلحاح وجدال وتهديد بالانقطاع عن التدريس . وكانت له فضلة من المال مما جمعه من « ولايته » وماسرقه من جنايته فرأى أن ينشىء هو مدرسة يستقل بادارتها

وفى زقاق من حارة بناء قديم متهدم لا تنفذ اليه خيوط الشمس إلا بأعجوبة ولا تمر بداخله نسمات الريح إلا من نوافذ صغيرة مرتفعة وكان يمر الناس بهذا البناء فيحسبونه مأوى للصوص ، وتروى عنه العجائز انه مباءة الأشباح والشياطين وما كان أشد دهشتهم حين رأوا على بابه « يافطة » كبيرة كتب فيها « مدرسة العلوم والمعارف »

وكان « عبدالحليم » قد انتهى من مفاوضة التلاميذ على أن يتركوا مدرستهم ويذهبوا الى مدرسته الجديدة وهنا كان عليه أن يفكر قليلا ، فهو فى حاجة الى مدرسين والمدرسون فى حاجة الى مرتبات ، وليس فى استطاعته بعد أن ابتاع أدوات المدرسة من مقاعد خشبية قديمة أطلق عليها « الأثاث الفاخر » ومن مجموعة من الزجاج الفارغ وضع لها لقب « معامل الطبيعة على أحدث طراز » ليس فى استطاعته بعد أن صرف فى هذا « الأثاث » والأدوات خمسة جنيهات أن يعطى للمدرسين مرتبات ولكنه لم يعدم حيلة فقد همس فى أذنه « فراشه الخصوصى » الذى امتاز بلجاجته وبحثه في شئون التربية والتعليم ، أن يعلن عن رغبته فى الصحف ، وما هي الا عشية حتى هرع الى دار « مدرسة العلوم والمعارف » جيش من المدرسين العاطلين ، وهم بين مريض ذهبت المخدرات بصحته وعقله ، وبين شيخ هرم يتوكأ على عصا غليظة ، وبين شاب قضى السنة الأولى من طفولته في مدرسة ابتدائية وقضى شبابه في التشرد والتسول

وعند ما استعرض « عبد الحليم » هذا الجيش وبدا له من مظهر أفراده أنهم حديثو عهد بالسجون ، اختار من بينهم ثلاثة ووعد الباقى بأن يدعوه عند مايستمر سير العمل فى المدرسة

ونجح عبد الحليم ، ويجب أن نلقبه الآن بلقب « البكوية » فهو منذ أن أصبح مدير مدرسة « أولية وابتدائية وثانوية للبنين والبنات » ومنذ أن عرف كيف يجلس على مقعد يدنو منه مكتب نثرت فوقه أوراق من مجلات وكتب مدرسية وغير مدرسية . منذ ذلك الحين اتصل باسمه لقب « بك » سواء رضى الواضع أم اندس أنفه فى التراب

ولم يكن فى نجاحه معتمداً على شىء من الحيلة وحسن الادارة ، ولكن التلاميذ محنكون كانوا يستغوون أمثالهم ممن رفضت قبولهم المدارس الأميرية لكبر سنهم أو لشذوذ أخلاقهم ؛ ويمنونهم بأنهم سوف لايتعبون فى مذاكرة ولا يرهقون عقولهم فى فهم العلوم وتحصيلها ، وحسبهم أن يعرف آباؤهم أنهم فى مدرسة تخضع لتفتيش وزارة المعارف ، وأن يعلموا أن « البيه » الناظر رجل قاس شديد الخلق يتوفر على صيانة مستقبل الطلاب بجهد خارق وعبقرية فذة !

وحذق عبد الحليم « بك » أسباب الدعاية لمدرسته وعرف من أين يدفع باسمها الى المقام الأول ، ففى شتى المناسبات القومية كنت تقرأ فى الصحف أن ادارة مدرسة العلوم والمعارف قد تبرعت بتعليم خمسين تلميذاً من الفقراء صدقة على روح أحد الزعماء أو تيمنا بعيد مبارك سعيد !

ولم تقف التبرعات المجانية عند هذا الحد وانما كان عبد الحليم « بك » يذيع في الصحف أنه تبرع للفقراء بمبالغ طائلة من الأموال ، وانتهت به هذه الدعاية الى أن انتقل بمدرسته الى منزل آخر . وهو أن يكن قديماً متهدماً الا أنه فسيح كان يسكنه أحد المماليك فى العهود الغابرة ثم جدد بناؤه على نظام عتيق ، وكانت ميزته على المنزل الأول أن نوافذه محطمة لاتصد زمهرير البرد ولا تحجب حرارة القيظ ، وكانت الروائح الكريهة المنبعثة من الدور الأرضى تنفذ الى حجرات التدريس بدون استئذان ، على أن عبد الحليم « بك » كان يحرص جهوده على النظافة ويعنى بتوفير الشرائط الصحية ، وشد ما كنت تراه يتولى بنفسه عملية « الكنس » ليضرب المثل الأعلى لحضرة « الفراش » الوحيد على تواضعه وشرف طويته

وتوسع « عبد الحليم » فى الدعاية لمدارسه فرأى أن يقيم حفلات تمثيلية يخصص ربحها للانفاق على القسم المجانى ، وطريقته فى توزيع تذاكر الحفلة عادية يسلكها أغلب أصحاب المدارس الأهلية ، فهو يرسلها الى بعض الأغنياء في البريد ومعها قصيدة مدح وثناء ، ثم يبعث الآنسة ... المدرسة بقسم روضة الأطفال — وهى زوجته التى أعفاها من الخدمة في أحد البيوت — الى منازل الوجهاء لتعرض على السيدات هذه التذاكر وعلى بعض الرجال أيضاً ، فاذا بقى من هذه التذاكر شىء جمع تلاميذه وسيرهم فى مظاهرة هاتفة الى دار أحد الأمراء فاذا استقرهم وبه النوى طلع أحد المدرسين عليهم بخطبة محفوظة أو قصيدة مدح نصفها من « المتنبى » وربعها من « البحترى » والباقى من ديوان « البهازهير » .

وكانت ثمة حوادث تشغل وقتا طويلا من أوقات عبد الحليم « بك » تتمثل في الصراع العنيف بين أشقياء التلاميذ والمدرسين ، فلم يكن هؤلاء الأشقياء يبقون على عمامة أحد المدرسين دون أن يتخذوا من « شالها » شراعا يخفق في « الجو » وهم دائبون على شد المدرسين من ملابسهم وقذفهم « بالطباشير » بله الضحك والتفكه والسخرية

ولم يكن عبد الحليم « بك » ليعنى بالعيوب الخلقية فى مدرسته قدر عنايته بانتهاز الفرص ، والا فأى عيب فى أن يداعب المدرس طفلا صغيراً ويجرئه على التوقح معه ، وهذا في رأيه مما يزيد فى اقبال التلاميذ على مدارسه العامرة ويملأ جيبه بالأموال الباهظة

وأنجب « عبد الحليم » بنتاً ثم كبرت البنت حتى شاركته فى ادارة المدرسة واتخذ منها وسيلة الى جلب الخير والرفه ، ولكن عيبها الوحيد أنها مسرفة مبذرة تنفق فى اليوم على ملابسها وحاجات زينتها مايجب أن تنفقه فى سنة ، وكثيراً ما كان يحاول ردها الى القصد فى الانفاق ولكنها كانت تهدده بالغضب فينزل عندما يرضيها

واضطر « عبد الحليم بك » الى الاستدانة بعد أن كان يداين الكثيرين وتزاحمت عليه مطالب الدائنين وكل يوم يطالعه انذار بالحجز على أدوات المدرسة حتى ضاقت الدنيا في وجهه وعاودته شروره الماضية

وكان أحد هؤلاء الدائنين يطالبه بمبلغ ٤٢ جنيها وكان الدائن ملحا ثرثاراً يتحين الفرصة التى يكون فيها مفتش الوزارة بالمدرسة ثم يفتح فمه بالشكوى ، ولولا لطف ابنته وقدرتها على اغماض عين « المفتش » لتنبه الى

هذا الأمر الخطير ونظر فى الاعانة الضخمة نظرة أخرى !

وعيل صبر « عبدالحليم » من هذا الدائن الثرثار فدفع له مرة ٢٥٠ قرشا ودفع له مرة أخرى ٦٠٠ قرشا ثم ازدادت مضايقة الرجل فتهدده بالشكوى الى القضاء.

كانت ضربة أليمة دون شك أن يقف عبدالحليم « بك » بحوله وطوله أمام القضاء مطالبا بهذا المبلغ ، ولهذا فقد أعد للأمر عدته ، وفي يوم الجلسة نودى عليه فحضر وعند ماسأله القاضى عن الدين أخرج له ايصالين أحدهما بمبلغ ١٢٥٠ قرشا والآخر بمبلغ ٢٦٠٠ قرش ثم أظهر استعداده لدفع بقية الدين

غير أن الدائن طعن بالتزوير فى الايصالين ، وقرر أن الايصال الأول بمبلغ ٢٥٠ قرشا فزاد فيه رقم ١ فأصبح ١٢٥٠ وأن الايصال الثانى بمبلغ ٦٠٠ قرش فزاد فيه رقم ٢ فصار ٢٦٠٠ قرش ، فلم تجد المحكمة بدا من أن تندب خبيرا لكشف هذا التزوير ، وجاء تقرير الخبير مؤيدا لما قرره الدائن فأحيلت القضية الى النيابة وقدم المتهم الى محكمة الجنح فقضت بسجنه ستة شهور ، ولما استأنف الحكم عدل بثلاثة شهور

وهكذا كانت النهاية المحزنة لأحد الرجال الذين يتولون ناحية من نواحى التربية والتعليم ، على أن هذا الحكم لم يمنع احدى الصحف اليومية من أن تبرىء ذمتها من أجرة اعلان عن « مدرسة العلوم والمعارف » فتنشر بعد صدور الحكم أن نتيجة هذه المدرسة مائة فى المائة فى شهادة الكفاءة ذلك لأنه لم يتقدم من هذه المدرسة لتلك الشهادة تلميذ واحد فكانت فكاهة أعقبت مأساة ، والحياة أبدا مآس وفكاهات !

؟

.... نعم وماذا عليك لو تفضلت بزيارتنا مرة فعاينت الأقمشة والأسعار وسلامة الذوق فى التفصيل عند : —

الترزى الشرقى

عبد الحميد محمد

شارع عبد العزيز — تليفون بستان ٢٣٠٢

هى زيارة واحدة ثم .... إذا بها عادة متحكمة

كذبة ابريل

لما أشرفت على الساعة التاسعة كنت قد فرغت من ارتداء ثيابي فهبطت الدرجات مسرعا لأركب سيارتي الى محل عملي فاذا بي ألمح ابنة عمي مقبلة نحوي وهي تقول

— في أي شهر نحن الآن . . ؟

فأجبت وأنا لا أنكر عليها هذا السؤال لما أعرفه عنها من الدعابة والعبث .

— أظن ياعزيزتي أننا في شهر مارس

— وفي اليوم الاخير منه . . ؟ أليس كذلك . . ؟

— أجل . . ماذا تعنين . . ؟

— أعنى أنني أريد أن أدبر معك كذبة ابريل

— انني الآن مشغول فهل لك أن تمرى على غداً في الساعة التاسعة

وكان قصدى من تحديد هذا الموعد أن أفاجئها بكذبة ابريل إذ كنت أنوى أن أسافر في الساعة الثامنة فاذا حضرت لم تجد لى أثرا . ولكنها اعترضني بقولها :

— لا . . لا يجب أن أدبر الأمر الآن، مر خادمك أن يعطيني خطابا مطبوعا عليه اسمك وأن يعطيني خاتم المحل الذى تمهر به رسائلك الرسمية .

— ولم كل هذا . . ؟ أتريدين أن توقعيني في ورطة

— كلا . . وإنما أريد أن أكتب خطابا باسمك

— فسرى ماتريدين

— هل تعرف بيلي ديري . . ؟

— أكبر الأغبياء على هذه الأرض

— هو ماتقول تماما . كان زميل طفولتي ونحن بعد في الرابعة من العمر، ولكنه اليوم يقاطعني مقاطعة تامة

— حسنا فعل . يظهر أنه ليس شديد الغباء

— إني لا أمزح . . لما مات والده لم يترك له شيئا من الثروة فرأى أن يمتنع من مقابلتي كأنما يعتقد أن فقره وثرائى أمران لا يتفقان . . .

— وماذا يعنيك من هذا . . ؟

— يعنيني أن امتناعه هذا إهانة تمس كرامتي .

— ها . . ها . .

— اضحك أولا تضحك ولكن هذا هو رأيي أتحسب أنني ممن يستهين بصداقة أعوام طويلة من أجل هذه المظاهر الزائفة .

— ليكن . . ليكن . . ولكن ما شأني أنا في هذا الموضوع كله ... وأي دور سأقوم به ..؟

— أتعلم أنه كان يرجو أن يلتحق بالوظيفة التي كانت خالية في مكتبك . .

— لا أعلم هذا ... ياله من أحمق ... لو أنه أخبرني برغبته هذه لساعدته في الأمر . فضحكت الفتاة وقالت :

— إنه ليس من النوع الذى يلتمس معونة أحد ... إن له لأنفا تصعد به إلى السماء ... سأكتب اليه الآن خطابا أمهره بخاتم مكتبك أدعوه فيه إلى مقابلتك لتعيينه في الوظيفة الخالية .

عند ذلك لم أطق صبرا على عبث ابنة عمي فصحت بها :

— تلك مهزلة لا أرضاها .. ولو أنك فكرت في عواقبها لعدلت عنها بلا ريب .

فابتسمت مارى وقالت :

— وما عسى تكون هذه العواقب التى تنذرني بخطرها ..؟

— سيلبي الشاب دعوتك ويحضر مبتهجا لمقابلتي بعد أن تمتلىء نفسه ونفس ذويه بالآمال الجسام، وسيقتضيه الأمر نفقات تافهة بالنسبة إلينا ولكنها كبيرة بالنسبة إلى دخله : فسيكوى بذلته ويركب الترام ... الخ فاذا قابلني أخبرته بكل بساطة أنه لا توجد وظائف خالية في مكتبي. فيغادرني

وهو يصب على اللعنات .

ـ كلا .. يا ابن العم .. بل سيغادرك وهو يشكرك لأنك ستعينه ولن ترفض له طلباً .

ـ وكيف أعينه وهو لا يصلح للوظيفة الحالية الآن ، فالصراف يريد مساعدا سبقت له خبرة بالعمل ، وصاحبك بيلي لم يعرف المال فى حياته حتى كان يمكنه أن يعده على الأقل

فقالت مارى فى اصرار :

ـ ولكنك ستوصى به الصراف خيرا .. وسيقبله لأنى أريد أن اجعله هدفاً لكذبة ابريل . فاذا مضت أيام على اشتغاله طردناه حتى لا يعود الى مقاطعتى

ورأيت أن لاسبيل الى ارجاعها عن عزمها أمام هذا الاصرار الذى تبديه .

***

ولما حضر بيلي ديرى فى اليوم التالى أمرت الصراف أن يبعث به الى مكتبي وكنت قد وضعت فى مكان ظاهر منه صورة ابنة عمى لأرى كيف يكون أثرها فى نفسه، فلما دخلت عليه وجدته يتأملها الحديث فتحول عنها وحيانى فى شىء من الخجل . وفاتحنى باهتمام بكلام كان قد أعده على مايلوح فقال :

ـ لقد حضرت ياسيدى بناء على دعوتك وأرجو أن أكون نافعا .. أنا .. أعنى .. اذا حصلت على الوظيفة .. وأنا .. طبعا أرجو أن أكون موضع ثقتك .. و ..

فقاطعته بقولى :

ـ حسنا .. حسنا .. تفضل بالجلوس .. هل الخطاب معك .. أرنى إياه .

فلما تناولته ألقيت عليه نظرة فوجدت أن ابنة عمى قد أخطأت فى هجاء بعض الكلمات فضلا عن غلطة نحوية شنيعة فنظرت الى بيلي وقلت :

ـ أما لاحظت ياسيدى وأنت تقرأ هذا الخطاب أن به أخطاء نحوية وهجائية .. ؟ فهل تعتقد أن الكتبة فى مكتب محترم يقعون فى مثل هذه الأخطاء ..؟ لقد بحث الصراف فى سجلات المكتب فلم يجد أية صورة أو اشارة لهذا الخطاب ... انى أخشى أن يكون مرسله قد ف[illegible] ذلك على سبيل المزاح فنحن اليوم فى أول ابريل كما ترى ولاحظت وأنا أقول ذلك كيف احمر وجهه ثم كيف انقلب [illegible] يحكى الأموات .

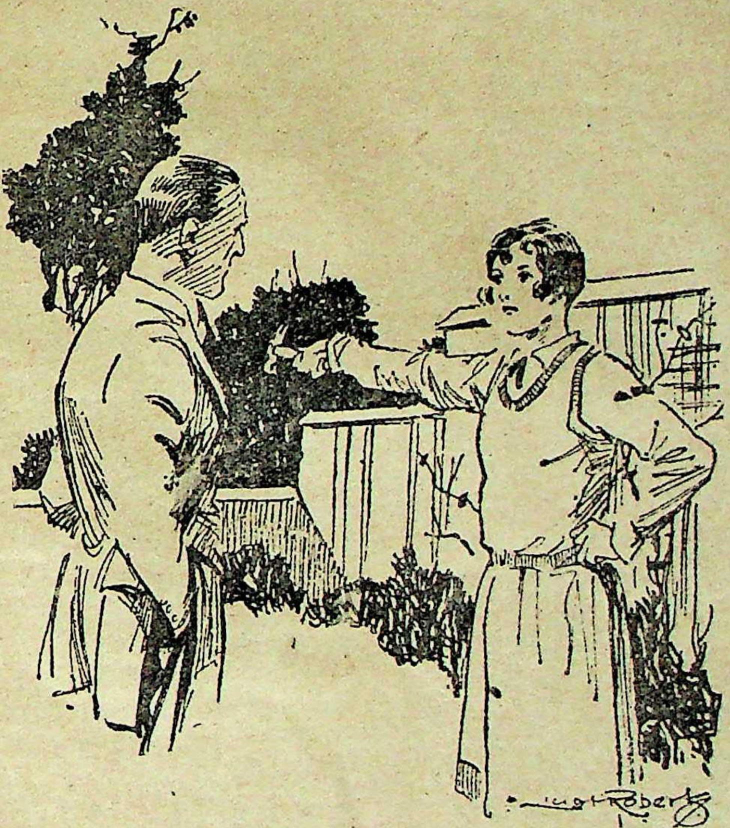

فأومأت الى الباب بالقدوم الذى في يدها وهى تقول :

ـ لست احب العظات فهل لك أن تغادرنى .. ؟

فاستطردت أقول :

ـ انها نكتة غير ظريفة وبعيدة عن حسن الذوق . فضلا عن أن الذى وقع الخطاب قد ارتكب تزويرا صريحا .. أما تشك فى أحد ..؟

ـ لا .. نعم .. ولكنه شخص لا أحب أن أوقعه فى مشكلة .

فقلت وأنا أحدق فى وجهه :

ـ ألا ترى ان كتمانك اسم المزور يوقعك أنت نفسك

فى هذه المشكلة ذاتها..؟ ألا تخشى أن يقول بعض الناس انك كتبت بنفسك هذا الخطاب المزور فلما انكشف أمرك عزوته الى شخص مجهول . . ؟ أرى أنه يحسن بك أن تصرح باسم هذا المازح الثقيل . فنهض واقفا وهو يقول :

— يؤسفني يا سيدى ألا أستطيع البوح باسم كاتب الخطاب مهما كلفنى الأمر.. لقد زور امضاءك ليكذب على كذبة ابريل وهذا كل ما فى الأمر .. أتأذن لى بالانصراف

— كلا أريد أن أقول لك انى سأعينك لمدة أسبوع على سبيل التجربة بمرتب قدره ثلاثة جنيهات فان أظهرت كفاية فى العمل زدت مرتبك وعينتك بصفة نهائية . . وكل ما أريده منك هو أن تذهب الليلة بعد انصرافك من العمل مباشرة الى كاتب الخطاب وتفهمه أن كذبة ابريل التى ابتكرها لم تكن ذات أثر لأنى عينتك فعلا ..

ولما فرغ بيلى من عمله قصد مباشرة الى منزل مارى وكانت بالحديقة تنظم بعض الزهور وكنت أنا بالنافذة أرقبها.. ودنا بيلى من باب الحديقة فلما رأى مارى ناداها قائلا:

— مارى . .

فرفعت رأسها وقالت فى شىء من السخرية :

— آه . . كذبة ابريل . .

فاجاب الفتى وهو يكظم غيظه :

— حقا لقد كنت غبيا إذ لم أدرك أن هذه الأخطاء اللغوية والهجائية لا تصدر إلا عنك ..

— اذا كنت ياصاح قد أتيت لتلقى على درساً فى الهجاء والنحو فاعلم أنى لست بحاجة اليه .

— كنت دائما أعتقد أنك مستهترة قليلة الاكتراث

— أنى لا أحب المواعظ فهل لك أن تغادرنى ..

وأومأت إلى الباب بالقدوم الذى فى يدها . . .

فقال بيلى :

— سأذهب ولن أعود ... ولكن أحب أن أقول لك قبل انصرافى أن ابن عمك شاب لطيف وأن كذبة أبريل التى دبرتها لم تتحقق لأن ابن عمك ألحقنى بالوظيفة الخالية فى مكتبه .

وأولاها ظهره غاضبا ليتصرف فقالت مارى :

— اسمع يا بيلى ... لقد كذبت عليك كذبة ابريل ولكننى اتفقت مع ابن عمى قبل أن أبعث اليك بهذا الخطاب ... والسبب فى ذلك أنك قاطعتنى بعد أن افتقرت وضاعت أموال والدى .. وتلك اهانة قاسية فلست ممن يقيسون بالمال أقدار الرجال ...وقد دعوتك لا لألحقك بوظيفة فى مكتب بن عمى وانما بوظيفة فى بيتى .. هل تقبل أن تكون زوجا لى .؟

وما أتمت مارى هذه العبارة حتى راحت تجرى فى أنحاء الحديقة بين الشجيرات وتبعها بيلى وغابا عن نظرى نحو ساعة قضياها فى خميلة منزوية ملتفة الأغصان ..!!

وفى اليوم التالى أعلنت خطبتهما ...

مدهشات الطب الحديث

بعيادة الأستاذ الدكتور ابراهيم عزت بك الحائز للدكتوراه فى الطب العام وطب الاسنان من جامعات باريس وأمريكا وحائز لدبلوم أمراض البلاد الحارة وعضو الجمعية الطبية والصحية بباريس ورئيس كلينيك مدرسة طب الأسنان بباريس وأستاذ الجراحة وعلم الامراض بمدرسة طب الاسنان بمصر سابقا اخصائى في معالجة الأمراض الباطنية والجلدية وأمراض النساء وأمراض الفم والاسنان والتقرح اللثوى الصديدى (البيوريه) بطريقته الحديثة التى لا يقف أمامها المرض أكثر من أسبوعين يجرى عملية خلع وحشو الاسنان وعمل وتركيب الاسنان الصناعية بكافة أنواعها بدون مشابك أو سقف حلق وجميع ذلك بدون أدنى ألم بأجور معتدلة

العيادة بشارع عماد الدين عمارة بحرى أمام نهاية المترو (تليفون ٣٨٠٦ مدينة)

الأستاذ مرسى يحاول الهرب من زوجته

ليلة لايتصورها العقل

لم أكن مخطئا حينما خطر ببالى أنه من المستحيل على التخلص من زوجتى الست متعبه ، خصوصا وقد استطار شرها واستعر أذاها بعد أن انهدت دعامتان عظيمتان من دعائم الشر الثلاث التى كان يقوم عليهاصرح شقائى وهما المأسوف على شبابهما الأم والشقيقة

ولوكنت ممن يعتقدون بالتناسخ لذهبت في اعتقادى بأن روحيهما قد تقمصتا جسم زوجتى فزاد بلائى منها أضعاف أضعاف ماكنت ألاقيه منهن كلهن مجتمعات

وما أنس لا أنس يوما وسوس الى الشيطان أن أسلب بعض حلاها لكى أستعين به على الهرب وقد فطنت الشقية الى ذلك وجدت في البحث على حتى اهتدت الى وألقت على القبض كسارق ثم اقتادتنى مرغما الى (محل الطاعة)

ولقد حاولت الهرب غير مرة فلم أفلح وعندها أيقنت أن هذه المحاولات لاتجدينى نفعا فأخلدت الى السكينة

ولقد حدث بعد ذلك أن انتقلت أمها الى جوار ربها فذهبت للعزاء حيث تقيم هناك ثلاثة أيام

فرأيت عندئذ أن الفرصة سانحة للفرار وأن هذه الأيام الثلاثة كافية لأن أصل الى خارج القطر حتى أكون بعيدا عن منطقة الخطر .

وكان معى جنيه ونصف لاأكثر ، جعلت ثلثه وقفا على نفقات السفر والنصف الآخر لنفقات المعيشة بضعة أيام فى الغربة حتى تتهيأ لى وسائل العمل

وقفت أمام شباك صرف التذاكر ودفعت الى العامل خمسين قرشا على أن يأتينى بتذكرة من الدرجة الثالثة

فقال الرجل :

— عايز تذكرة لحد فين

— زى مايعجبك تذكرة بالقيمة دى والسلام

— انت ياراجـل مجنون . مش لازم تعين المحطة اللى عايز تسافر لها

— المسألة مش عايزه تعيين القصد عايز أسافر للجهة اللى تستحسنها حضرتك ، ادينى تذكرة على ذوقك والسلام

وكان من حسن الحظ أن سمعت رجلا صعيديا يصيح مناديا باللهجة الصعيدية :

— ياددعان (ياجدعان) ياولادات الحلال . حدش عايز كسكره لديردا (تذكره لجرجا)

فهرولت نحو الرجل وتناولت منه التذكرة أفحصها بدقة فاذا هى بنفس تاريخ اليوم ونمرة القطار غير أنها كانت للدرجة الثانية فلم يداخلنى أقل شك في أن هذا الرجل قد عثر عليها كلقطة فى الطريق فساومته عليها فى مقابل خمسين قرشا فلم يمانع فى القبول

وفيما أنا اجتاز الافريز لأجد مكانى من القطار التقى بى صديق قديم من اعيان مديرية المنيا فحيانى بحرارة وسألنى عن الجهة التى اقصد اليها فلما اخبرته باننى اقصد الى جرجا قال لى : وهل انت ذاهب لمهمة هامة تستدعى وجودك في هذه الليلة قلت : ليس لى غرض سوى زيارة هذه المدينة فقال

— اذا كان هذا غرضك فليس مايمنع أن تتخلف فى مدينة المنيا لتقيم فى ضيافتى بضعة أيام ثم تستأنف السفر

— انى اقبل دعوتك عن طيب خاطر ولكنى أخشى أن أثقل عليك بهذه الضيافة

— حاشا ياصديقى خصوصا وأن لى ذهبية راسية على شاطىء النيل ، لابد أن تتوافر لك فيها أنواع الراحة والسكينة

ولما كنت مضطرا الى التخلف الليلة فى بلدة سمالوط

فسأبعث بتلغراف الى وليلى يستقبلك على المحطة ليذهب بك الى الذهبية . وهذا الرجل يسهل عليك التعرف عليه إذ هو طويل القامة لدرجة غير عادية ، وفى استطاعتك التطلع اليه من فوق رءوس الواقفين على الرصيف

— سأكون على مثل ماأردت

وفى هذه اللحظة حضر بعض أصدقائه فاستأذننى فى الانصراف ليأخذ مكانه من عربة الدرجة الأولى بعد أن شدد على ألا أهمل هذه الدعوة

وفيما أنا منزو فى احدى عربات الدرجة الثانية وقد أوشك القطار أن يتحرك دخلت سيدة فرنسية لم تقع العين على أجمل منها . وقبل أن تتهيأ للجلوس رمقتنى بنظرة كان لها وقع السهم على فؤادى ، وقد خيل الى أن قواى تتلاشى تدريجيا تحت تأثير هذه النظرة فغضضت من طرفى في خور وحياء

ورأيت هذه السيدة تسدد الى النظرات وأنا لا أقوى على رفع بصرى إلا مسارقة وقد خيل الى انها تبتسم .

فحاولت أن أبدأها الحديث غير انى كنت أخشى عاقبة هذا الفضول ولكنها سهلت لى السبيل الى ذلك فأسقطت مروحتها من يدها فأسرعت لالتقاطها وقدمتها اليها في شيء من التظرف وحسن التأدب . فشكرتنى على ذلك ثم مضت تسائلنى

— الى أين تقصد ؟

— اننى مسافر الى جرجا

— هذا شيء من المصادفات الغريبة فانى أقصد الى هذه المدينة لأن زوجى يقيم فيها

— لعل هذه المصادفة تكون على شيء من حسن التوفيق الذى يهيئه لى القدر إذ من يدرى . . .

— ربما تكون صحبتنا في هذه المرحلة الطويلة سببا لتوثيق عرى صداقة دائمة . . ولا سيما أننى أرى فيك صورة لشخص كنت أقدسه وقد خفق له قلبى بضع سنوات

فعند ماسمعت منها هذه الكلمات أيقنت ان السعادة قد فتحت لى ذراعيها وان القدر قد أفسح لى صحائف ناصعة من الهناء والصفاء

وكانت هذه الكلمات التى نطقت بها أول سطر من سطور السعادة فى سفر الهناء

فلقد كنت أحمق مخاطرا عند ما غامرت بنفسى الى غربة بعيدة لاأدرى كيف يكون مصيرى فيها وها أنذا الآن أجد السعادة تترقبنى في هذه المدينة وان لم تكن من طريق الحب فلا أقل من عمل ازاوله بحسن مؤازرة زوجها العتيد

ولهذا عدلت عن التخلف فى مدينة المنيا وعولت على متابعة السفر

وكأن القدر كان قد غفل عنى لحظة ولكنه عاد فكشر لى عن أنيابه اذ حدثت حادثة غير منتظرة غيرت مجرى الحوادث

فان هذه السيدة وقد أرادت أن تقدم الى بطاقتها أدركت فجأة أنها فقدت حافظة نقودها التى كانت تحتوى جانبا من المال وتذكرة السفر

فاضطربت أيما اضطراب ولم يداخلنى أقل شك فى أن التذكرة التى أحملها قد فقدت من هذه السيدة

وكان من الفضول الذى تعرضت له أن أسائلها بالحاف عن مقدار المال الذى فقد من حافظة نقودها اذ أجابتنى بخشونة وبلهجة من التأنيب

— وماذا يهمك من معرفة مقدار مافقدت ؟ هل تريد أن تعوضه على ؟! . هبه بضعة قروش فحسبى نكبة أنه كل ما أحمل عدا التذكرة التى لا أستطيع مواصلة السفر بدونها ولا أدرى مصيرى بعد هذه النكبة

قالت هذا واجهشت فى البكاء فزاد مظهرها جمالا وقد أحسست نياط قلبى تتقطع لبكائها

وعند ذلك لم أجد مندوحة من أن أقدم لها تذكرتى وأعود الى الرأى القديم من التخلف فى المنيا ، ثم اذا لم يكن بد من اصطدامى مع كومسارى القطار فان مابقى في حوزتى من المال كاف لتذليل هذه العثرة

جاش فى صدرى هذا الخاطر ولكنى خشيت أن أعرض نفسى لتهمة شنيعة اذ من يدرى اذا كانت هذه السيدة تحتفظ بنمرة التذكرة فتتعرف عليها وأكون أنا سارق الحافظة . ولكن مع كل ذلك رأيتنى أقدم اليها تذكرتى رغم أنفى وأنا أقول لها :

— يسوءني جداً أن يصيبك أقل مكدر . ولكن كل ما أستطيع عمله أن أقدم لك تذكرتي حتى لا تتعرضي لمشاكسة كومسارى القطار

— وأنت ماذا تعمل وليس لك تذكرة سواها ؟

— سأنزل في محطة المنيا حيث أقيم وأن ما أحمله الآن من الدراهم كاف لدفع ثمن التذكرة مع الغرامة ثم أستأنف سفرى غداً

فقالت وهي تتردد في قبول التذكرة

— دعني أسألك قبل ذلك سؤالا . ألك بيت وعائلة وأولاد هناك فأكون في ضيافتك الليلة ثم نستأنف السفر في الغد معا

— ابتدرتني بهذا السؤال على غير انتظار فكان ويلى ويلين . هذه يد عظمى أستطيع أن أسديها إلى سيدة عظيمة ربما كانت سبباً في اسعادى

وهذه ضيافة ربما تكون وهمية أو مداعبة غير مستحسنة من ذلك الوجيه فماذا يكون مصيرى إذا هبطنا ليلا وقد خلت يدى من المال

غير أنه خطر لى في لمح البرق الخاطف أن أكون عند حسن ظنها ولدى من الوقت متسع لأن أذهب إلى صديقى صاحب الدعوة أستحثه على ارسال التلغراف من محطة الواسطة ثم أوحى اليه بتفاصيل هذه الحادثة الفجائية حتى يكون على علم بأن دعوته قد تمخضت عن ضيف آخر

وقد تمت هذه المهمة قبل أن يصل القطار الى الواسطة وقد سارت الظروف على الوجه الأكمل ولم يمانع ذلك الوجيه في أن أكون عند حسن ظن السيدة بى حتى تعلم انى صاحب الذهبية وانها ستكون في ضيافتى أنا لا في ضيافة ضيعه

ولا أطيل بك الشرح في تفاصيل هذه الرحلة القصيرة ولا أحاديث الغرام التى كنا نتساجلها في اغتباط وصفاء . ووقف القطار في محطة المنيا وكان أول مالفت نظرى قامة ذلك العملاق وهو يتقدم نحونا وقد استقبلنا باحترام عظيم ثم قادنا الى السيارة التى ذهبت بنا مسرعة نحو النيل حيث ترسو الذهبية

وكان في انتظارنا هناك خادمان قد أعدا لنا المائدة وسهلا لنا كل وسائل الراحة

فما كادت السيدة ترى هذه المعدات حتى أكبرت شأنى وقد توهمتنى أميراً من الأمراء فزاد ذلك في ولعها بى وانصرف الخادمان وقد خلا لنا الجو لجلسنا نحتسى كؤوس الشراب قبل أن نتقدم الى مائدة الطعام فكانت مداما وكان غراما

وفيما أنا جالس اليها أحدق فيها بعض مايوحيه الى الخيال من سلسلة أكاذيب وتلفيقات رأيتها تنظر الى الأفق في ذعر وهلع ثم رأيتها تنكمش وقد جحظت عيناها وتقلصت شفتاها وقد اربد وجهها وامتقع لونها ثم سمعتها تقول في شبه همس وغمغمة

— انظر الى الأفق عند الشاطىء الآخر ألا ترى خيطاً أحمر كأنه لسان مندلع من ألسنة اللهيب انى أتطير شراً من هذا المنظر وأخشى أن يكون نذير شر ينتابنى أو ينتابك

فقلت وقد هالنى ذلك المنظر الغريب

— هدئى من روعك فما هى الا ظاهرة لا أهمية لها من بعض الظواهر الطبيعية

فقالت ان فرائصى لترتعد خوفا من هذا المنظر ويخيل الى أننى أحس بدوار شديد

ولم تكن السيدة مخطئة في قولها اذ بدأت أنا أيضا أشعر بذلك الخوف وذلك الدوار . ولم أكد أثوب الى رشدى حتى رأيت الأنوار الكهربائية قد انطفأت فجأة ثم شعرت بحركة غير اعتيادية وكأن أشباحا تروح وتغدو في الظلام . فحاولت أن أصيح مستنجدا بالخدم ولكن أحدهم تعجلنى بضربة على أم رأسى فسقطت الى الأرض فاقد الصواب

***

ولا أدرى كم قضيت في هذه الغيبوبة ولكنى رأيت نفسى ملقى في كهف أو غار ، وكان الظلام حالكا الا بصيصا من النور الضئيل ينبعث من فجوة في وسط قبة عالية قد أقيمت على جدران هذا المكان وقد لاحت لى من ورائها بعض الكواكب تتراءى ضئيلة من خلال

سحاب فحاولت أن أقوم من مكانى وكأن هذه الحركة قد أثارت جيوش الخفافيش التى ثارت هائمة فى الفضاء فكان منظرها يترك في قلبي وحشة غريبة ويزيدنى رعبا وخوفا .

وجلست القرفصاء وكان البرد شديدا يهرأ الجسم فجعلت أستعيد على ذا كرتى حوادث هذه الليلة الليلاء وأنا لا أعرف ماذا يكون مصيرى وماذا تم لهذه المسكينة ولا على أى ميتة فظيعة ستختم بها حياتها

وكان الجوع قد بلغ بى حده الأقصى فجعلت أتطلع الى السماء من وراء هذه الفجوة وأنا أسائل الله أن يمدنى ببعض الزاد وأن يهيء لى سبيلا الى النجاة . دعوت هذا الدعاء ولا أمل لى بالاجابة اذ أن ارادة الله لا تتعلق بالمستحيل . ولكن قد يكون لى سبيل الى الخلاص وقد أعثر على بيت رجل كريم

ومن الغريب اننى لم أكد أتم المناجاة حتى أبصرت زنبيلا يتدلى بحبل من هذه الفجوة حتى استقر على الأرض فلم أشك فى أنه يحتوى زادا أرسل الى بأعجوبة من السماء

ومددت يدى أتحسس ما احتواه الزنبيل فاذا بسائل حار وقد وقعت يداى على جسم بشرى

فانخلع قلبى لذلك وما عتمت أن أشعلت عودا من الثقاب فاذا يداى ملطختان بالدماء التى كانت تقطر من هذه الجثة وكانت النكبة أشد وقعا على قلبى الضعيف إذ كانت جثة هذه السيدة المسكينة التى كانت تناجينى الغرام منذ ساعات .

عندها أيقنت بمصيرى أنا الآخر وذهبت أضرب فى الظلام أبحث عن منفذ الى العراء

وهنا أستميح القارىء الكريم عذرا اذا كان قد اعتاد أن يقرأ من سفر حياتى صحائف كلها فكاهات ومداعبات ثم يرانى الآن أثير فى قلبه الهلع والفزع بوصف حوادث هذه الليلة التى لا يمحو أثرها من قلبى مر العصور وكر الأعوام .

وكان من حسن حظى وأنا أتلمس الجدران أن أصبت منفذا ضيقا يؤدى الى مكان آخر أكثر اتساعا فوقفت منزويا أنظر ماذا يكون

ونظرت الى الفجوة فاذا بى أرى رجلا يتدلى وهو ممسك بهذا الحبل حتى استقر على الأرض ثم تبعه ثان وثالث الى عشرة رجال

ورأيت هؤلاء الرجال على شعاع النور المنبعث من هذه الفجوة قد جلسوا في حلقة بغير أن ينبس أحدهم ببنت شفة

وقفت أنظر الى هؤلاء الرجال وأنا أحسبنى لا أشاهد حوادث ملموسة ولا أكاد أتوهم أن أرى شيئا يقع على مثل ما وقع لى، يحدث فى مدينة مصرية بل ذهب بى الوهم الى أبعد حد من الخيال وهو انى فى بطن البلاد الهمجية أو اننى أشرف على حادثة من الحوادث الخيالية عن اللصوص وقطاع الطريق التى ينسقها الكتاب الاوروبيون

وساد فى المكان سكون رهيب قطعه الزعيم بقوله :

— لقد جاء دور الرجل الثانى وهو فى هذا المكان فاذهبوا سريعا فى طلبه

سمعت هذا الكلام فطار قلبى شعاعا من الخوف وانسللت فى سكون الى المكان الآخر فاذا هو مسجد خرب ولم أجد فيه مكانا أختبىء وراءه الا فلولا من منبر بقيت قائمة

وسمعت الرجال يقولون لزعيمهم بأنهم لم يجدوا لى أثراً فى المكان فصاح بهم

— ويحكم هل طار الى السماء اذهبوا فابحثوا عليه فى المسجد فربما كان مختفيا خلف المنبر سمعت هذه الكلمة فطار صوابى . وما توانيت ان أسرعت أبحث عن مكمن ولكنى اهتديت الى المنارة فانطلقت أصعد درجات حلزونية حتى انتهيت الى مكان لا أستطيع أن أصعده اذ تحطمت بعض درجاته

ولكنى وقد شعرت بهم يصعدون الدرجات لم يسعنى الا أن أقفز بكل ما أوتيت من قوة حتى اجتزت هذه الدرجات حتى وصلت الى أعلى المنارة وكأن الرجال قد وقفوا عند هذه الدرجات المحطمة فلم يستطيعوا اجتيازها وسمعت أحدهم يقول للزعيم

— لقد بحثنا عليه كثيرا فلم نجده ولا نستطيع الوصول الى أعلى المنارة

ووقفت فى خوف وفزع أترقب مصيرى وقد بلغ بى الخوف حده اذ تأكد لى أن أحدهم قد استطاع اجتياز هذه الدرجات وانطلق صاعدا فجمدت في مكانى أترقب مواجهة الخطر

ولكن الخوف وحب الحياة فتقا لى عن حيلة كانت آخر سهم فى الكنانة، وبعدها لا يكون الا الهلاك . فتخطيت

الحاجز الحجرى الذى يطوق المأذنة وأمسكت بحافته من الخارج وتدليت فى الفضاء.

وشعرت بالرجل يبحث عنى وكأنه لم يفطن الى مخبئى فصاح يقول لقومه : لم أعثر عليه

فسرى عنى قليلا . ولكنى سمعت الشقى يقول له : مر بيديك على حافة الحاجز فربما يكون متعلقا به من الخارج

لقد كانت حياتى معلقة بخيط دقيق وهاهوذا قد انقطع ولم يبق لى إلا الهلاك

وفي هذه اللحظة وقبل أن يصيح الرجل بهذا الانذار الأخير مرت بخاطرى فكاهة غريبة فى سرعة البرق وهنا أقصها عليك وأنا فى آخر رمق من الحياة تذكرت أنه حدث لأحد المؤذنين فى بعض القرى أنه كان يؤذن لصلاة الفجر وقد ذهب بعقله المنزول فتوهم أن حاجز المأذنة فرسا مطهمة فاعتلى صهوتها ولكنه وقد أراد أن ينزل عن هذا الحاجز كان من سوء حظه أن نزل (من اليمين) فهوى من حالق الى الأرض. واذا كانت حياته لم تكن قد انتهت فقد وقع الرجل على كومة عظيمة من الغلال فى جرن بجانب المسجد فتناثرت من تحته ولم يصب الرجل بأقل سوء.

وعند ماشعرت بيد الرجل تمس يدى لم يكن في مقدورى إلا أن اختار أهون الميتتين فأغمضت عينى وحللت عقدة قبضتى فسقطت هابطا في الفضاء

وكنت أشعر بأن أنفاسى قد احتبست بتأثر الصدمة الهوائية وكأننى أسبح فى فضاء لاحد له بينما كانت تنطلق من عينى سهام مختلفة الألوان. غير أننى مع كل ذلك كنت فى تمام شعورى وأنا على يقين بأننى مقبل على تلك الساعة التى لاريب فيها ، ولا بد من تلك الصدمة النهائية التى تذهب بها حياتى حينما أصل الى الأرض

وشعرت كأنى سقطت على شىء لين فانتبهت فاذا أنا بين يدى امرأتى التى تلقتنى بين ذراعيها وهى تقول :

— اسم الله عليك وعلى حواليك ياسى مرسى افندى ياعبد السميع !!

ونظرت فيما حولى فاذا بى فى مخدعى وما سقطت الا من فوق السرير وأن كل ما صادفنى لم يكن غير منام وأضغاث أحلام

بردليس النبيل

يعد المستر روفائيل سباتينى من كبار الكتاب الذين لهم ولع خاص بالوقائع التاريخية المشهورة ، وهو يلقب بدوماس هذا العصر لوجوه الشبه العديدة التى يراها القارئ بين القصص التى وضعها كلا الكاتبين والروح التى تلمسها فى مؤلفاتهما

ورواية « بردليس النبيل » التى ظهرت على اللوحة الفضية من القصص الشيقة التى وقعت حوادثها فى عهد لويس الثالث عشر فهى تتناول شطراً من تاريخ فرنسا فى ذلك العهد ، وضعه الكاتب فى قالب روائى تتجلى فى حوادثه روح الشهامة والنبل والتضحية ،غير مايتخللها من العظات البليغة والمواقف البديعة التى تثير فى النفس روح الاهتمام وتتملك المشاعر ، وقد نشرناها تباعا على صفحات الاهرام فنالت اعجاب القراء وتقديرهم وقد تم طبعها الآن فى جزء كبير من ورق جيد فى نحو ٢٥٠ صفحة وتطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد على ومن جميع المكاتب وثمنها ستة قروش والبريد غرشان

ورقة الآس الاسباني

... ومرت ساعة والزوجان فى صمت عميق
وألسنة النار تمتد من الموقدة الموضوعة بينهما ثم تتراجع والسكون يخيم على الحجرة الأنيقة

وكانت الزوجة فى ثوب مسائى بديع من المخمل الأخضر، وقد زان جبينها الناصع شعر فى مثل لون الذهب، ونمت عيناها الواسعتان عن شجن كامن ولوعة عظيمة، أما الرجل فمليح الوجه نحيف القوام ترتسم الرجولة على كل جارحة من جوارحه، وبين أصابعه سيجارة يشغله مايدور بخاطره عن رفعها إلى فمه

وكان على يمين المرأة مائدة صغيرة منخفضة عليها أدوات الشاى الذى فرغا منه منذ ساعة ثم لاذا بأهداب الصمت

وطارت شرارة صغيرة من الموقدة واستقرت على ثوب المرأة فخشيت على ثوبها فأتت بحركة فهوت أدوات الشاى على الأرض وأحدثت صوتاً كبيراً أعادت الزوجين الغافلين الى نفسيهما

فرفع فيليب استانلى السيجارة الى فمه ونظر الى زوجته وهى عاكفة على ثوبها تفحصه، فلما رأته يديم اليها النظر قالت فى يأس وقنوط:

كنت على وشك الصراخ من هذا السكون الموحش المطبق، الآن صوت الأقداح المحطمة كفانى مؤونة العويل

فما تكلم الزوج، وقام الى جرس بالحائط وضغط عليه، ووقف بجانبه، وبعد برهة أقبل رئيس الخدم فأشار استانلى الى الخزف المحطم وقال:

روبسون! ارفع هذه الأشياء وجفف السجاد

قال ذلك وسار الى الباب وفتحه فى سكون ثم خرج وما كاد يوصد باب المكتبة خلفه حتى بصر بزوجته تدخل غضبى، وكانت قد غادرت الموقدة ولحقت به

ففتح الباب وانحنى أمامها ووقف أمام رف المكتب فقالت ونيران اليأس والشجن تضىء عينيها السوداوين: فيليب! ان الحياة لا تحتمل اذا سارت على هذا المنوال، وانى أرفض بتاتا أن أعامل كمجرمة لا ذنب سوى ...

وأمسكت لا تتكلم

فرفع حاجبيه فى يأس وقال مكملا:

... سوى أنك لا تدرين أى الرجلين تفضلين، زوجك، أم ... أم العشيق!

فاحمر وجهها الجميل خجلا، وامتدت حمرة الخجل حتى صبغت عنقها وأذنيها وتطاير شرر الغيظ من عينيها وصاحت تقول:

ليس دايل بعشيقى

ولج بها الغضب فانفجرت تقول مزمجرة

نعم ليس دايل بعشيقى، وأنت تعلم ذلك، والا لماذا أبقيتنى فى بيتك حتى هذه الساعة!

وتقدمت اليه خطوة وعادت تقول:

قد يكون دايل ... قد يكون، الرجل الذى تلتذه روحى، وقد يكون الذى يحبه قلبى، ولكن. ولكن وأمسكت مرة ثانية

فقال فى هدوء: لست بفيلسوف حتى أفرق بين الحب والخيانة، فعندى ان المرأة ذات البعل غادرة ان امتدت أنظارها الى رجل آخر، هذا ماأفهمه وأدركه، أما ان الزوجة تهوى غير خليلها ثم تقول ان هواى عذرى فشىء لايدركه فهمى القاصر،

فزفرت زفرة عميقة وسارت الى طرف المكتبة حيث الموقدة وطرحت نفسها على مقعد كبير من الجلد وقالت فى لهجة حزينة

أنت الذى اقترحت أن نحيا هذه الحياة الجافة، أنا فى واد وأنت فى آخر، وكنت أظن أن ذاك الضرب من العيش فى مقدورى، ولكن لشد ماكنت مخطئة، ثم لماذا كل هذا الشقاء؟ لأنك خضعت لأوهامك وتصورت غير الواقع

فسار الى الموقدة

وكانت المرأة تنظر فى النيران فكسا اللهيب وجهها حمرة مغرية

ووقف استانلى يفحص محاسن امرأته ، كأنه مارآها من قبل

رآها كالزهرة اليانعة رونقا وبهاء كالغصن النضير لينا ورواء فقال فى نفسه :

هل ظلمت المسكينة ، وأبهظتها بظنونى وجفائى ؟

كنت أعلم ، حين تزوجت منها ، منذ خمس سنوات أنها لاتبادلنى مثل حبى العظيم ، ولكنى اعتمدت على الأيام ، وقلت قد تقع فى حبائل غرامى كما وقعت في حبائلها ، الا أنها ماأحبتنى الا حبا خفيفا هادئا ، فلماذا لاأقنع بالقليل

ورفع رأسه وقال :

جيردا ! كنت أظن ان خمس سنين نقضيها تحت سقف واحد تزرع بذرة الحب في قلبك ، حب المرأة لزوجها ، ولكنى أخطأت فى تقديرى

فرفعت ذراعيها في ملل وقالت :

وهذا عين ما كنت أظنه ، وعجزت الأيام والسنون عن تحقيقه ، الا انى ماشكوت بل قنعت بالحياة كما هى ولكن حين ...

فقال فى غضب : ... ولكن حين رميت بك بين ذراعى شيرنجهام . خفق قلبك لأول مرة ، وأيقنت ان الشقاء فى الحياة الزوجية ، أليس كذلك ياجيردا ، كنت مجنونا حين طلبت الى الرسام شيرنجهام دايل أن يرسمك ، فمثلى مثل من يحرق داره بيديه ثم يقف تحت أطلاله ينوح ويبكى !

فقالت فى صوت متهدج : لاتلم نفسك ، انما المقدور هو الذى ساقنى فى طريق دايل ، ليتنى لم أره !

فغشى الحزن وجه الزوج المحب المسكين وغمغم يقول :

نعم ليتها لم تره !

ثم رفع صوته وقال :

وما هذا المقدور الذى تتحدثين عنه

قالت : المقدور الذى لامرد له ، والذى يصيبنا شئنا أم لم نشأ

قال : وأنا الذى حركت هذا المقدور وأرسلته في طريقك

قالت : قد يكون ذلك ، قد يكون ذلك

فصاح : والآن ، لنتكلم بصراحة ، علام عولت ؟ وكيف تجيب وهى لاتدرى ؟

انها مافقهت حتى الآن خطرات نفسها وهمسات قلبها لقد التقت بالرسام منذ نصف عام ، وجلست بين يديه ساعات طويلة حتى نقل صورتها على اللوحة ، ثم قابلته بعد ذلك مرارا ، ولكنها عجزت عن فهم نفسيتها ، انها تحبه ، الا أنها تدرك سمو الحياة الزوجية ، وهى تحب زوجها ، ولكنها تعلم مافى هوى الرسام من سحر غلاب ونور جذاب

وعادت بها الذاكرة الى الماضى ، فرأت زوجها يحضها على الجلوس الى الرسام ليصنع صورتها ، ورأت الفنان من أولئك الرجال القلائل الخطرين الذين أدركوا طبائع النساء فما شاءوا أن يغزوا قلبا الا واستحوذوا عليه ، فكانت اذا جلست اليه ارتعدت وتتابعت أنفاسها وزهدت الحياة الزوجية ، هذا وزوجها لايرى حرجا فى تمضيتها ساعة فى كل يوم بين يدى الرسام

وهكذا حدث مالا بد من حدوثه

كرهت المرأة حياتها القديمة وهفت نفسها الى الساحر

فلما ساورت الزوج الظنون ، أمر امرأته بالامتناع عن مقابلة غازى القلوب ، فقالت ليتنى أقدر ، ان ماتطلبه فوق طاقتى ، ولكن سأعالج نفسى بالسلوى ، قال شكرا لك ، فامسكى عن مقابلته شهرا كاملا ، ثم نرى

واليوم آخر الموعد

ولا بد من تقرير أمر

هذا ما كانت تفكر فيه الزوجة وهى تنظر في نيران الموقدة

وكان الزوج يعلم أنها تسبر قلبها وتتفهم حقيقة روحها فوقف منتظرا وأخيرا قال :

والآن ، علام عولت ؟

الا أن المرأة كانت مشغولة بخواطرها فعادت تقول لنفسها : وكنا قبل هذا الشهر الممل البغيض نقيم بجوار الرسام المحبوب فلما وعدت زوجى ذاك الوعد المشئوم قال اذن فلنبتعد حينا عن موطن الداء ، ومنبع الفتنة وجاء بى الى قصره هذا ، فى تلك البقعة المقفرة ، فقضينا فى نكد مقيم وهم دخيل ويأس طويل ، والآن هو يطلب الى أن أتكلم فماذا أقول ، اللهم هبنى السداد فى الرأى

وألقى الزوج سؤاله للمرة الثالثة

فنهضت ووقفت أمامه حائرة ملتاعة وقالت :
قدصارت الحياة بغيضة الى نفسى ، ولابد من صنع شىء

قال : وهذا ما أسألك عنه

فقالت وهى شاردة الطرف :

نعم لابد من عمل شىء

قال : معنى ذلك أنك ترومين اللحاق بشرنجهام !

فدقت يدا بيد ، وتنفست فى حزن ويأس ، وقالت فى صوت يقطر هما ولوعة

أى استانلى العزيز : امهلنى لحظة !

وكانت نظراتها وكلماتها وحيرتها تقد قلبه قدا وتمزق نفسه

وأى مصيبة أكبر من أن يرى الرجل زوجته المحبوبة أسيرة هوى رجل آخر

كان يراها بعين الوهم بين ذراعى شرنجهام الساحر فيقفز قلبه الى حلقه ، وترتعد أوصاله ، وتدور به الأرض الفضاء

آه لو تعود الأيام المواضى ، آه لو تعود حتى بذاك الحب القليل الذى تضمره جيردا له منذ أمد قصير

كان فى سعادة ضافية الا أنه عكر صفوها على نفسه ، ليست منية حانت قبل أن يقدم مالكة فؤاده الى الرسام اللعين

ورأت الزوجة آيات الشقاء بادية على وجه بعلها فغمغمت تقول :

أى استانلى العزيز ، امهلنى لحظة

ورجعت الى نفسها تقول : ماهذه الحيرة التى ملكتنى
هذا زوجى وذاك محبوبى ، فأيهما أختار ، ان استانلى يحبنى وهو زوجى ، ودايل يعبدنى وهو سويداء القلب وحشاشة النفس ؟

وتذكرت يوم عانقها دايل وضمها الى صدره ضما عنيفا ، وطبع على شفتيها قبلة طويلة عميقة

آه من تلك القبلة ! هى التى أيقظت نفسى الراقدة وروحى الراكدة ، وهزت القلب الصامت فتحرك ودق عاليا

ورآها استانلى تهتز كالقصبة فى مهب الريح ، فعرف أية خواطر تجول فى نفسها فصاح في غضب :

تكلمى يا سيدتى بما فيه فصل الخطاب ، ولأن أفقدك الى الأبد خير ألف مرة من هذا الموقف المريب الغامض

ثم ارتفع صوته وهو يقول : زوجك أم حبيبك ؟ تكلمى

فمدت اليه ذراعها كما يفعل المستعطف الذليل وقالت :

استانلى ، استانلى ، ليتك تفهم ما يدور بخاطرى !

فصاح : يالك من قاسية ! الموت أهون مما ترجينه لى ، كفى ياجيردا ، كفى

قال ذلك وقفز كالمجنون الى طرف الحجرة فصار بجانب المكتب ثم صاح في يأس قاتل : عار على اذا لم أجل هذا الشك على الفور ، والويل لقلبى الضعيف الذى

وتذكرت يوم عانقها دايل وضمها الى صدره ضما عنيفا ....

وقفني هذا الموقف المهين ، سأتكلم أنا عنك ،

وحانت منه التفاتة فرأى « ورق الكتشينة » على المكتب فتناوله وقال ، وقد سنح برأسه خاطر غريب :

كنت منذ لحظة تتحدثين عن المقدور ، وتدعين بأنه المهيمن على شئوننا ، اذن ليحكم هذا المقدور بيننا ؛ وليكن الكلمة التي أعجزك النطق بها

فنظرت اليه في استغراب وقالت . ماذا تقول ، لم أفهم شيئا ؟

لجلس الى المكتب وضحك ضحكة تسيل دموعا وألما ثم قال :

هذه « أوراق الكتشينة » ستقضى بيني وبينك ، أنا أريدك ، وأنت تريدين شر نجهام فلننظر ماذا يريد المقدور ،

ثم تناول ورقتي « آس » احداهما تمثل « القلب » الأخرى الشكل و « الاسباتي » ، وقال وهو يرفع الورقتين

سأقلب الورقتين على المكتب وستختارين واحـدة فان كانت الاسباتي فأنت لصاحبك وان كانت القلب فأنا سيدك ومولاك شئت أم رفضت

فنظرت اليه لحظة وقالت : قبلت !

فاخفى يده

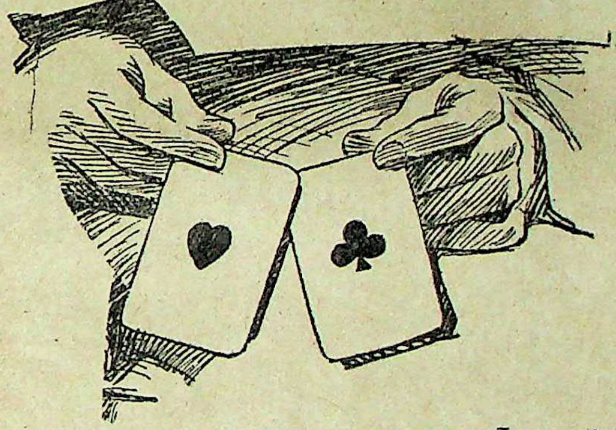

ثم تناول ورقتي آس احداهما تمثل « القلب » والاخرى الشكل الاسباتي

بالورقتين تحت المكتب ثم رفع يده ووضع الورقتين مقلوبتين على المكتب وقال : اختارى !

فترددت قليلا ثم قالت : اخترت الورقة التي تحت يدك اليمنى فرفعها الى وجهها دون أن يراها ، وكأنه خاف من صدمة الحقيقة الهائلة الا انه عرف من وجه زوجته ماجاء به المقدور !

***

وبعد نصف ساعة كانت جيردا فى ركن سيارة تطير بها الى لندن ، الى موطن المحبوب

نعم خسر الزوج قضيته حين اختارت جيردا الورقة « الاسباتي » . . .

وكانت السيارة تطوى الأرض طيا وجيردا تقول لنفسها فيم التفكير فى زوجي الآن ، وهو الذى جاء

بالكتشينة واقترح الأمر ، ولكني أحبه ، نعم أحبه

وماقالت ذلك حتى انفجرت باكية

وغمغمت فى صوت مسموع

أحبك يازوجي العزيز ، أحبك ياستانلي ، ولكنك لاتدرى .

ان قلوب النساء هواء كما يقولون

كانت جيردا تحب زوجها حبا يسيراً ، ولكن اليوم ، منذ ساعة فقط شعرت نحوه بحب عظيم

حين جلس صامتا أمام الموقدة ، ثم نهض وضغط على الجرس يدعو الخادم لرفع أدوات الشاى المحطمة

في تلك اللحظة أحست بحبه يسرى في قلبها فامتزج الهوى الجديد بالهوى القديم ، ولكنها لم تدرك أى الرجلين أقرب الى نفسها

وكفكفت عبراتها وقالت : ما أعجب شأني ، هل تهوى المرأة رجلين ! ! !

وأطلت من نافذة السيارة لتطفىء النيران التى تشتعل فى رأسها الآن هواء الليل البارد لم يجدها شيئا

وعادت تقول لنفسها ان عاطفة الرحمة أشبه بعاطفة الحب ، وهذا الذى أشعر به نحو زوجي لايزيد على عاطفة رحمة فلماذا أعذب روحي بادكاره ؟

وسرها وقوعها على حل يريح ضميرها ، فجعلت تفكر فى الرسام ،

قالت : كتبت اليه منذ شهر بأني راحلة الى الضواحي طلبت اليه ألا يراسلني ، فنزل المسكين على ارادتي دون أن يفهم ماحملني على صده وهجره ، فليت شعرى مامنزلتي الآن من قلبه !

وأزعجها هذا الخاطر ، فعادت تقول :

كلا ، انه مغرم بي ، ومازالت كلماته التي قذف بها الى روحي ، ساعــة احتضنني ، ترن فى أذني وتجرى على خاطرى

قال بعد أن طبع تلك القبلة الخالدة

« ستنفذ قبلتي هذه الى صميم قلبك فتهزه هزاً عنيفاً

وعندذلك تعلمين انك كنت حالمة وتنفقين أيامك فى سعادة باطلة، فالحياة، ياجيردا، الحب، وهاقد أيقظته الآن بقبلتى،

وصدق المحبوب فيما قال. فلقد تفتحت نفسى الى الحب، الحب العميق الخالد الذى يشوى الضلوع ويتلف المهج فرأيت زوجى على ضوئه حقيراً صغيراً، ورأيت دايل عظيما يمثل دبيب المنى وأحلام الصبا...

ثم ذكرت كلمة زوجها حين خرج يشيعها الى السيارة قال:

«اسمعى ياجيردا لن أنساك أو أسلو هواك حتى أدرج فى أكفانى. ولكننى كنت رجلا شريفا في حبك لتجربى حظك، ولأصون كرامتى، الا أننى أخشى عليك غضب السماء، فأنت الزوجة المتبرمة الملول، وقد أطرك فركبت رأسك وأغمضت عينيك عن سعادة شاملة حصرتك فيها، فاذهبى الى الرجل الآخر. ولكن حذار أن تعودى الى اذا أعرض عنك بعد أن ينال لبانته منك»

ولما أجرت جيردا كلمات زوجها على خاطرها قالت فى خوف وحذر كلا، ان دايل ليس بذاك الرجل، ولو كانت أنظار جيردا تنفذ الى الحقائق التى تكنها القلوب لعلمت أن دايل شرنجهام رجل فاسق ملول لا عهد له ولا وفاء، وأنه حين عمل على جذب قلبها ما كان يفكر الا فى اللهو بها والعبث حينا من الدهر ثم طرحها في زوايا النسيان، وأنه حين تسلم رسالتها قهقه ضاحكا وقال: كأن الشقية ظنت أن هواها قاتلى وانى متيم بها، متتبع لحركاتها لتذهب مع زوجها الى الريف أو الى الشيطان، لقد زهدتها بعد تلك القبلات والعناق!!

ولكن الزوجة التى أفسدها البطر تحسبه مثال الوفاء والفضيلة، ورمز الحب والعشق

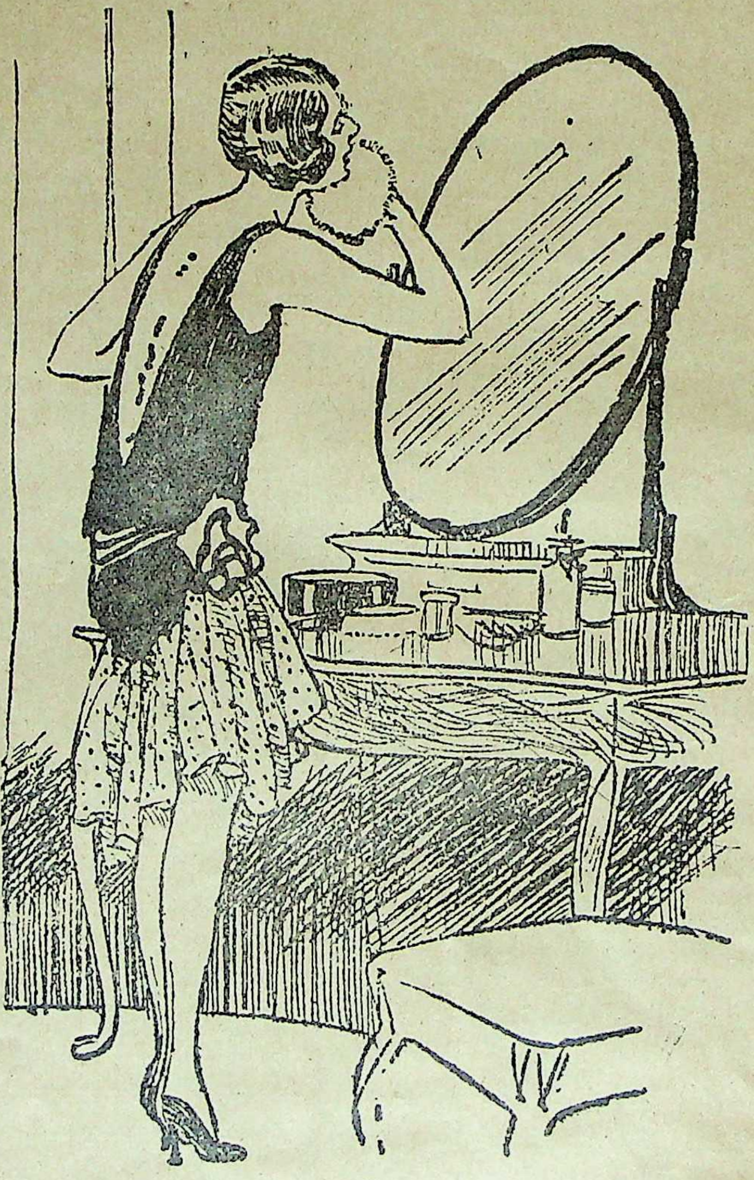

ثم قامت الى مرآة تتزين وتتجمل

ودخلت السيارة مدينة لندن فى الساعة الحادية عشرة ووقفت امام قصر منيف تقطنه الليدى يورسولا عمة جيردا

فترجلت جيردا من المركبة وهى تقول لنفسها: لو كنا الآن فى صدر الليل لمضيت فورا الى مسكن شرنجهام

وقابلها جمسون رئيس خدم عمتها، ولما سألته عن الليدى أجاب:

لن تعود الليلة الى القصر

فقالت: اذن اصعد أمامى الى حجرتى

ودخلت حجرتها الأنيقة التى كانت تنزل بها قبل الزواج

وأمرت الخادم بالانصراف ورفضت أن تذوق طعاما، ثم أغلقت الباب وطرحت نفسها بملابسها على الفراش

الا أنها نهضت بعد خمس دقائق ثم قامت الى مرآة تتزين وتتجمل ثم ضغطت على الجرس، فاستأذن جمسون ودخل وانحنى أمام مولاته الصغيرة

قالت : سأغيب فى المدينة قليلا ثم أعود
فنظر اليها رئيس الخدم ذاهلا ، ثم أحنى رأسه وقال :
هل أحضر مركبة ؟
قالت : كلا
ثم هبطت الدرج العريض وسارت في الظلماء
وبعد بضع خطوات رأت سيارة فنادت سائقها
وركبت بعد أن أمرته بالمضى الى حى شلسى
وشلسى هو الحى الذى يقيم به الرسام شيرنجهام !
وكانت تقول لنفسها وهى فى السيارة :
لقد فقدت زوجى فقيم التلكؤ الى الغد ، لابد من رؤية صاحبى الليلة وزف الخبر السار اليه
وتصورته بعين الخيال يرحب بها ويضمها الى صدره

وكان منزل شيرنجهام يشرف على النهر ، فنزلت من السيارة متدثرة فى معطفها الثمين ثم ألقت نظرة على الماء الساكن ووقفت تتأمل جلال الليل ورهبته ، ومدت طرفها الى بيت الحبيب فشاهدت نوراً يتألق في الطابق الأول .
قالت في نفسها
ان المسكين يفنى ليلته فى هم وتسهيد ، قاتل الله الحب انه علة شقاء الخلق !
وأمرت سائق السيارة، بالانتظار وسارت الى باب البيت ووضعت يدها على المطرقة ثم رفعتها وقبل أن تسقطها سنح خاطر فى رأسها فأنزلتها في سكون وقالت :
ماهذه الحماقة التى ارتكبها فى ساعة طيش وجنون
وكيف أقرع على الناس أبوابهم في مثل هذه الساعة المتأخرة

وخرج دايل وخلفه امرأة حسناء فوقفت جيردا جامدة كأنها استحالت تمثالا

ويقول لها فيما يقول : انظرى لقد أهلكنى الشوق وأمضنى النأى فأنا حزين مفجوع منذ رحلت الى الريف لم ترقأ لى عبرة أو يغمض جفن !
ولما وقفت بها السيارة أمام باب الرسام كانت ساعات المدينة تدق معلنة انتصاف الليل
فسرت روح غريبة فى نفس المغامرة ، وقالت : كأنى احدى نساء الروايات الخيالية ، سيرانى فيحسبنى طيفا فينظر الى في شك فأخلع معطفى وأرمى بنفسى بين ذراعيه فيعلم انها الحقيقة الحلوة ، لأن قبلات الطيف لاتكون ملتهبة !

من الليل ، من يدرينى . لعل دايل يسامر امرأة الآن
وأزعجها هذا الخاطر فتراجعت قليلا الى الوراء ، وقبل أن تتقدم ثانية الى الباب ، ماراعها الا حركة تحدث فى الداخل ويفتح الباب فيتدفق نور شديد ويبدو دايل خارجا وخلفه امرأة حسناء ...
فوقفت جامدة كأنها استحالت تمثالا
ورأى شيرنجهام صديقته جيردا فابتسم وسار اليها وقبض على يديها وقال :
جيردا !

ثم جذبها الى داخل البيت وقال : مرحبا بك ! آه
ونظر الى السيدة الأخرى وقال يخاطب جيردا :
أقدم اليك زوجتى العزيزة !!!

* * *

وفى صباح يوم بارد من أيام فبراير جلست الليدى يورسولا بارنجتون الى مائدة الافطار واجمة وعلى وجهها مارات الحزن العميق

والليدى سيدة عجوز متأنقة تمثل بشمائلها وثيابها نساء البلاط في القرن الثامن عشر

كانت تفكر في المأزق الحرج الذى وقعت فيه عزيزتها جيردا الحمقاء ، وامرأة مثل الليدى تعرف كيف تعالج الأمور ، وتذلل الصعاب

وسمعت صريف باب فالتفتت فرأت جيردا استانلى تتقدم اليها فى أدب

وهال العمة الشفوقة اصفرار غشى وجه ابنة أخيها فغمغمت تقول بينها وبين نفسها : آه لو عرف الشباب ، ان المسكينة لاتدرى أى الرجلين تحب

وانحنت جيردا وقبلت وجنة عمتها ثم جلست قبالتها وأرسلت طرفها الى يمينها فرأت خطابا باسمها بجانب طبقها ، فاكفهر وجهها حين عرفت صاحب الخط

انه خطاب من زوجها

الزوج المسكين !

ففضته على عجل وجعلت تتلوه

قرأت :

« عزيزتى جيردا »

« ان حبك مازال مقيما فى قلبى ، يهزأ بالمحن والاحداث ولكنك تقولين أن العيش في ظلى لايطاق ولا يحتمل اذن فمن الحماقة أن أسألك أن تعودى الى البيت الذى أشرق حينا بطلعتك ، لقد نفذ السهم ، فلا يجدى الندم ، ولأجل أن أقدم اليك يدا أخرى وضعت لك داخل خطابى هذا مستندا قيما ينفعك فى محاكم الطلاق » المخلص فيليب

فدارت الأرض بالمسكينة ، أدركت كل شىء ، وعرفت مانوع ذلك المستند القيم ، ولكنها نشرته بين يديها

وجدته « فاتورة » صادرة من فندق به أن فيليب استانلى دفع مبلغ كذا أجر مبيته ليلة هو وامرأة فى احدى غرف الفندق

ومعنى ذلك أنه زودها بسلاح تشهره في وجه المحاكم أثناء طلب الطلاق ، فهذا المستند يبرهن على أن زوجها ارتكب الفحشاء

ومعنى ذلك أيضا أن زوجها رأى راحته فى الطلاق والانفصال عنها

ثم من هذه المرأة ، المرأة التى أمضى الزوج معها ليلته ؟

وتمشت الغيرة فى قلب الزوجة المسكينة ، ورأت نفسها كالغريق الذى يضطرب بين الأمواج الثائرة فقدت الرجلين ، وخذلت في الميدانين

وأمسكت لاتتكلم والعمة تنظر اليها فى حزن

ورأت الليدى « فاتورة » الفندق فأدركت كل شىء

وقبل أن تخلف جيردا المائدة استوقفتها الليدى بقولها :

جيردا ! اذا نزل بساحة انسان خطب هرع الى اخوانه يستشيرهم ويطلب معونتهم ، أليس كذلك ؟

قالت جيردا : نعم ، ولكن الى أى شىء ترمين ؟

قالت : أحسبت عمتك عمياء لاتبصر أو مجنونة لاتفهم مايحدث أمامها ، أنت غارقة في الهم الى أذنيك فلماذا لاتعتمدين على ! تعالى الى نفحص موقفك الجديد ، ونلتمس أوجه الخلاص

فغمغمت جيردا تقول : ومن أطلعك على سرى الدفين ؟

فأجابت العجوز : قلبى العامر بحبك ، وعقلى المشغول براحتك وأمنك ، اذ لرى يابنيتى كل شىء ، وانفضى همك بين يدى أمحضك النصيحة وأسدد خطواتك الى مافيه خيرك واسعادك

فترددت الزوجة الصغيرة برهة ، وطفرت الدموع من عينيها فما رأت العمة العبرات المهراقة على الوجنات الشاحبة حتى جن جنونها فوثبت الى ابنة أخيها واحتضنتها في شوق وحنان وقالت والدموع تغالبها

لا تسكبى هذه الدموع الغالية أمامى ، رحمة بقلبى الحزين المحطم !

فاعولت جيردا وجعلت تقول : آه ياعمتى ! آه ياعمتى ! ان الحزن هد حيلى وحرمنى الغمض منذ ليال

فصاحت العجوز : أعلم ذلك ياصغيرتى ، كفكفى دمعك ، واخلعى على عاتقى شجونك وكمدك

قالت ذلك وجلست اليها تطيب خاطرها وتصلح شعرها المشوش

وسكنت جيردا قليلا ثم قالت بعد أن رقأت دمعتها :
أن الخبيث كتمنى أن له زوجة

فقالت العمة : الرسام السافل ؟

فأحنت جيردا رأسها وقالت :

مضيت الى داره يوم قدومى الى لندن فرأيته يبرح داره بصحبة امرأة ، فلما رأى تغير وجهى قال وهو يشير الى الشقية التى معه انها زوجته وانها امرأة اسبورت مغرمة بالأسفار والتجوال لاتدخل مصراً الا لتخلفه الى آخر ، وانها انتهزت فرصة مرورها بمدينة لندن لجاءت لزيارة زوجها ،

وبعد أن ذكر ذلك على مسمع منها همس فى أذنى أنه يكرهها ويمقتها ، فعرفت أن الرجل يخدعنى عن نفسى ويحاول أن يدخل الأمل في قلبي فتراجعت عنه وسرت الى السيارة التى كانت تنتظرنى وقلت له بعد ان استويت داخلها « سأزورك مرة أخرى » وكان ذلك آخر عهدى به حتى ساعتنا هذه

فبرقت أسارير العمة وقالت : بارك الله فيك ياحبيبتى !

فتشجعت جيردا واستتلت تقول :

حين فارقت زوجى كنت أطمع فى الزواج من شرنجهام ، وإذا بالشقى صاحب زوجة ، واذا الحب الذى نفثه فى أذنى أكاذيب في أكاذيب ، واذا فرضنا أن المرأة ليست بزوجته فلا تكون إلا خليلته ، وأنا — على مافرط مني فى حق زوجى — لا أرضى لنفسى أن أتصل برجل متزوج أو مخالل ، وذلك زوجى يرتكب الفحشاء فى فندق ليسهل على فراقه ، فأنت ترين ياعمتى العزيزة ان طيشى قد أركبنى مركباً وعراً وزج بى فى مأزق لاقبل لمثلى بالخروج من مثله

قالت ذلك وطرحت رأسها على كتفها الحلو التكوين وأذرفت العبرات

وتكلمت العجوز فقالت :

كان يجب أن تعلمى ياجيردا أن رجلا مثل شرنجهام لايتقرب من امرأة إلا ليلهو بها حيناً ثم ينبذها نبذ النواة ، ولكن الله صانك ورفع عن بصيرتك الغشاوة فتراجعت وأنت على شفا الهاوية

قالت : نعم ياعمتى ، ولكن عزائى الوحيد هو أن شرنجهام لم يفهم لماذا طرقت بابه في منتصف الليل ، ولو أنى قلت له جئتك فارة من زوجى لأمزج حياتى بحياتك ، ثم عرفت أنه رجل غادر ، اذن يقتلنى الحزن والنكد ، الا أنى قلت له ، كنت مارة بالسيارة من هنا فرأيت أن أزورك زورة خفيفة قبل رجوعى الى الريف

فصاحت العمة : أحسنت يافتاتى

وعادت جيردا تقول : وعدت بالسيارة الى هنا والهم يطوينى وينشرنى ، هالنى عمق الهاوية التى ترديت فيها نظرت إلى يمينى فألفيت زوجا حانقا غاضبا ، بل زوجا مسكينا غلبه الحب على أمره نخضع لمشيئتى وأخرجنى من عشه وهو كاره ، ونظرت الى يسارى فوجدت محبا غادراً فاسقاً لم يمس الحب الطاهر المنزه روحه يوما ما ، فعرفت أن الله قد انتقم لزوجى

وما انتهت من حديثها الى ذلك الكلام حتى انفجرت باكية فغادرت المائدة وبيدها رسالة زوجها ، ودخلت حجرتها وأوصدت الباب خلفها لتبكى شجوها على انفراد ولتسبر عمق الجرح الذى أصاب قلبها . . . .

ودفنت رأسها البديع بين الوسائد وأنشأت تبكى ماشاء الله أن تفعل . ثم رفعت رأسهـــا وجلست الى النافذة تدبر أمرها

ومن بكى شجوه استراح وان كان موجعا !

قالت لنفسها : سبق السيف العذل ، ولم يبق أمامى إلا الصبر والتسليم ، أقيم بقصر عمتى بعيدة عن الخلق وشرورهم الى أن يدركنى أجلى فأستريح من هـــذه الحياة الدنيا

ثم ذكرت المرأة التى باتت مع زوجها بالفندق ، فساءلت نفسها : من تكون تلك السيدة ، أتراه يهواها ، أم هى امرأة جاء بها الى الفندق من عرض الطريق ليؤيد جريمة الفسق

وخفق قلبها وتمنت فى تلك الساعة ان ترى نفسها جاثية تحت قدمى زوجها الكريم تستغفره وتستعطفه ثم جال برأسها خاطر

قالت : قد يكون زوجى كاذبا ، وهذه « الفاتورة » مزورة ! آه لو تصدق الأحلام

وأطرقت برهة ثم عادت تقول :

ان فيليب كريم النفس كبير القلب ، ولو أنى مضيت اليه أطلب الصفح والغفران لتلقانى بالبشر والترحاب ، ولكن عزة نفسى لاتطيق أن أتجشم ذلك الموقف المهين ، من يدرينى ؟ قد يقول لى ، ادخلى ياجيردا ، أعرفت الآن الفرق بينى وبين خليلك الغادر ! ولكنى غفرت لك ، لا لأنك عدت بل لأنك شقية منكوبة ولأنى أهواك

***

وفي صباح اليوم الثانى دخلت الليدى تخدع ابنة أخيها وقالت :

قابلت مسجلى المستر ايستليك البارحة ، واتفقت معه

على مايجب أن نفعله فى صدد مسألة الطلاق ، فطلب الى أن أخبرك انه بانتظارك اليوم فى الساعة الثالثة بمكتبه

لخفق قلب الزوجة لذكر الطلاق

وعادت العمة تقول : يجب أن نفرغ من تلك المهمة القاسية على عجل حتى نرتب شئوننا

فقالت جيردا : صدقت

ولم يعجبها الحماس البادى في لهجة عمتها

وقالت لنفسها : مالها تسعى الى الطلاق هذا السعى الحثيث كان أحرى بها أن تتريث ، فقد يحدث أمر يرجعنى الى أحضان زوجى المسكين

ورأت جيردا نفسها أمام أمر واقع فلاذت بالصمت وقالت :

سأكون بمكتبه فى الساعة الثالثة

فقالت العمة : وسأمضى معك ، ولن تغرب شمس اليوم حتى تكونى فى راحة وصفو

فسألت جيردا نفسها عن سر اغتباط عمتها بتلك المهمة المحزنة وقالت : لعلها تريد أن تزوجنى من رجل تثق به وتجله ، هيهات ! سأقطع أيامى فى وحدة وانفراد وكفى ماذقته على أيدى الرجال !

ووصلت المرأتان الى مكتب المسجل قبل الموعد المضروب بنصف ساعة ، الأمر الذى أدهش جيردا وحيرها .

وقال كاتب المسجل : سيحضر المستر ايستليك فى الساعة الثالثة تماما

فقالت العجوز : أعلم ذلك

فنظرت اليها ابنة أخيها متعجبة

وسار الكاتب بين أيدى السيدتين الى قاعة الانتظار ثم خلفهما ومضى الى عمله

وتلفتت الليدى حولها ثم قالت

سأخرج الى حديقة البناء ومتى عاد الاستاذ ارسلى فى طلبى

قالت ذلك وخلفت جيردا فى قاعة الانتظار

وكان المسجل صديق الاسرة منذ أمد بعيد ، فرأت جيردا أن تمضى الى مكتبه وتنتظره هناك ، فقد تجد بالمكتب ماتطالعه

وسارت فى دهليز طويل ثم دفعت باب المسجل ودخلت ، ولما توسطت الحجرة وقع بصرها على ماقيد حركاتها .

رأت رجلا يقف بجانب النافذة وظهره الى الباب ولكنها عرفت فيه زوجها

زوجها فيليب استانلى !

والتفت فيليب خلفه حين سمع صريف الباب فما وقع بصره على امرأته حتى هتف بقوله :

جيردا !

فصاحت : فيليب

وتراجعت خطوات

وقال فيليب : جئت فى الوقت المحدد ، كما طلبت عمتك

فاصفار وجهها وقالت وكأن صوتها ات من غور بعيد :

جئت في الوقت المحدد ، كما طلبت عمتى !!

قال : نعم ، أكنت تجهلين ذلك ، قالت عمتك فى رسالتها ، « ان زوجتك تريد رؤيتك لأمر هام »

فعلمت جيردا كل شىء

أدركت حيلة عمتها

وقال فيليب حين رأى حيرة زوجته :

جيردا !

وكان صوته يقطر شوقا وحنانا

وعاد يقول بعد تمالك : جيردا ، هل بعثت عمتك رسالتها دون علمك ؟

فمشت اليه جيردا وقالت :

نعم ، كلا .. ولكن .. اسمع يافيليب

فاهتز حين سمعها تناديه وتألق نور الشوق فى عينيه

ورأت جيردا حركته فعرفت مكانهـا من قلبه فاستتلت تقول :

أما وقد جمعنا المقدور هنا يافيليب فيجب أن أتكلم وان كنت لا أجد من الكلام نتيجة حسنة

فتقدم اليها وروحه على شفتيه المرتعدتين وقال : جيردا ! جيردا ! وذكرت عمتك في رسالتها أشياء كثيرة

فصاحت : وماذا قالت ؟

أجاب والشوق يغالبه : أشياء نسيتها ، ولا أحب أن أذكرها ، ولن أذكرها أمامك يوما ما ، عفا الله عما سلف ياجيردا ، فتعالى الى ، انى أحبك يازوجتى العزيزة بل أعبدك

وغلبته الصبابة فانفجر باكيا فألقت جيردا بنفسها بين ذراعيه

وقال وهو ينشج : أعائدة أنت معى ياجيردا ؟

فأجابته بقبلة حارة على شفتيه

***

وفى نفس اليوم عاد الزوجان الى قصرهما بالريف

ينقذها من خطيبها الذي تعقته ثم يتزوج منها

— تنح يا هذا

وكانت الفتاة تصيح بملء فيها

وكان الصباح جميلا والشمس تنشر شعاعها الذهبي فى الانحاء والأطيار تشدو شدوها الشجى الحلوب .

صاحت الفتاة ايرين مرة أخرى

— تنح أيها الغبى الأحمق !

وسار الفتى وهو فى صمم عن ندائها وصياحها يتخطر فى مشيته . وقذفت كرة ايرين فى شدة فانطلقت كالسهم وأصابت قفاه .

ونشر الشاب ذراعيه فى الهواء وسقط على الأرض وتمدد على قارعة الطريق

فرمت ايرين عصا الجولف وعدت اليه حتى اذا وصلت ركعت على ركبتيها بجانبه وبذلت جهداً عنيفاً حتى أستطاعت أن ترفع رأسه وتجلسه . وكانت عيناه مغلقتين وفمه مفتوحا وهو يخرج زفرات حارة شجية وبدا لايرين أنه كمن يريد أن يودع فى دعة وسلام فهزته وقالت

— أفق يا هذا ! انك لم تصب بضر بتاتا . أنني واثقة تماماً من ذلك

وأبى الشاب فى عناد أن يصدق هذا القول . وأجالت ايرين نظرة فيما حولها فلم تقع عينها على انسان أما النادى فكان على مسافة ميل . وكانت ايرين قد سمعت أنه اذا غشى على انسان فيجب الاسراع فى فك «ياقة» الرقبة فألقت على الشاب نظرة ولكنه كان يرتدى قميص التنس وهو مفتوح عند العنق . ولم يكن هناك سبيل غير نضح وجهه بالماء

وذهبت ايرين الى القناة التى تحد

انك تعلم أين أنت . انك حيثما كنت منذ الصباح تذرع الطريق وتقطعه على اللاعبين

الطريق فأتت بقليل من الماء فى راحتيها المتلاصقتين ففتح عينيه وأخرج منديلا مسح به وجهه ثم قال

— أين أنا ؟

فقالت ايرين فى شىء من الجفاء

— انك تعلم أين أنت . أنك حيثما كنت منذ الصباح تذرع الطريق وتقطعه على اللاعبين حتى لم يستطيعوا أن

يلعبوا الجولف وضايقتهم مضايقة شديدة .

وأمر الشاب يده على قفاه ثم قال

— ماذا حدث ؟

— لقد صحت مرات عدة أن تنح عن الطريق .

ولكنك لم تسمع ولابد أنك كنت أصم . ولا ريب انى آسفة ولكن ذلك كان خطأك أنت فلم يكن من واجبك أن تحوم حول ميدان اللعب وتقطع الطريق على اللاعبين

— لم أكن أعلم أن انسانا ورائى

ثم وقف على قدميه وتقدمت ايرين تسنده باحدى يديها وقالت

— هل لى أن أعينك على الرجوع الى مركز النادى ؟

— كلا أشكرك فانى سأتم الدور

فنظرت ايرين الى عصا الجولف الوحيدة التى يحملها وكانت من حديد فقالت

— هل أنت مبتدىء حديث العهد ؟

— نعم (أفندم)

— لقد سألتك هل أنت حديث العهد ؟

— فى الجولف ؟

— نعم . فى الجولف . حديث العهد فى لعبة الجولف ؟

— لقد فهمت ما تقصدين . حديث العهد نعم تماما

— حسنا سوف أتم لعبى فهل تسمح لى ؟

— بكل سرور

وذهبت ايرين تلعب ولكن مزاجها كان قد تعكر فجعلت تخطىء فى لعبها المرة بعد الأخرى حتى تضايقت وسئمت فأقلعت عن اللعب وذهبت الى دارها وهى متأففة متذمرة

ولما كانت تتناول طعاما قصت قصتها ثم قالت

— لقد كان هذا الأحمق الذى لا ينى يخطر أمامي طيلة الصباح حتى كادت ضلوعي تتمزق غيظا وسخطا . وصحت كى يتنحى عن طريقى ولكنه لم يسمع فقذفت بالكرة فأصابت قفاه فتهالك على الأرض . «وعمل ميت» ولما استيقظ أخبرنى أنه حديث عهد بهذه اللعبة .

ثم قالت فى خشونة

— يجب على المبتدئين أن يتدربوا على قواعد الألعاب ويحفظوا قوانينها ثم يمتحنون قبل أن يسمح لهم بدخول ميادين الألعاب

فقالت لها أمها تخفف من حدتها

— كل انسان يجب أن يبتدىء أولا . فكونى واسعة الصدر أيتها العزيزة

— واسعة الصدر ! وكيف يتسع الصدر اذا جاء مثل هذا الأحمق فأفسد عليك لعبك لغير علة غير بلادته وجهله

وذهبت ايرين بعد الظهر الى الحديقة لتستريح فى الأرجوحة الشبكية وتطالع ، ولكنها لم تترك وادعة هادئة فقد كان يطن فى أذنيها فى فترات منتظمة صوت المضرب فى الكرة . واحتملت ايرين هذا فى صمت وهدوء نصف ساعة ثم لم تطق احتمال ذلك فوقفت على مقعد وأطلت على الحديقة المجاورة لها وقالت

— ألا تستطيع أن تتمرن فى ناحية أخرى من فضلك ؟

فرفع الشاب أنظاره اليها . وكان هو صاحبها فى الصباح وبيده المضرب وتحت أقدامه كثير من الكرات وعلى مسافة بعيدة منه مدت شبكة من شجرة الى أخرى فقال الشاب

— هل أنا أزعجك بهذا ؟

— نعم انك تزعجنى

— ولكن المبتدئين يجب أن يتمرنوا

— اذهب الى ميادين الألعاب وتمرن هناك . فان هذه الطريقة لا تجديك نفعا .

فتنهد الشاب وقال

— حسنا

— أشكرك

ثم هبطت ايرين وجعلت تطالع فى دعة وسكون . ولم تنقض خمس دقائق حتى أطل الشاب برأسه من فوق السور وقال

— أرجوك معذرة

— نعم

— هل يضيرك أن أتمرن بالمضرب الكأسى (قمته كالكأس) ؟ ان هذا المضرب لا يحدث صوتا مزعجا

- كلا بتاتا

- أشكرك

ثم اختفى

وكادت عين ايرين تفقد حين قذفت كرة من الحديقة المجاورة فتخطت السور وسقطت فوق سقف البيت الزجاجى وأطل الشاب من فوق السور وهو يقول

- أنى آسف جد الأسف ولكني كنت أضرب الكرة من طرف الحديقة الى الطرف الآخر ولا أدرى كيف طارت الكرة من فوق السور . هل كسرت شيئا؟

فقالت ايرين

- لوحا من الزجاج فقط . وانه لأمر تافه ولكنك اذا ضربت الكرة بأكثر من ذلك شدة فمن المحتمل أن تستطيع كسر الباب

وحك الشاب اصبعه فى قفاه وقال

- الحوادث لاتتقى ولا مفر من وقوعها

فصاحت ايرين وهى ثائرة

- لم « تكن » حادثة فقد ضايقتنى طوال الصباح وسدت على كل منفذ فضربت الكرة فيك عمدا. فأنت تستحق مانلت

فنظر اليها الشاب نظرة التودد فقالت ايرين وقد خفت لهجتها ولانت حدتها

- انك حقا تستحق من واجبك أن تجد لك زميلا يلاعبك ويعلمك بعض الألعاب والقواعد

- هل لك أن تتكرمي بذلك ؟ ولا تنس إننا جيران وما الى ذلك .

فترددت ايرين وقالت

- متى ؟

- الآن

ونست ايرين ثورتها وضحكت وهي تقول

- انك متعجل جدا

- هل تلومينني على ذلك . انى أبلغ السادسة والعشرين من عمرى ولم ألعب الاقليلا من الزمن فتصورى كل هذه السنين التى أضعتها عبثا . لقد كان فى استطاعتى أن أبدأ الألعاب فى الرابعة عشرة من عمرى إذن فقد أضعت من حياتى مايقرب من عشر سنوات فهلا يحق لى أن أتألم على هذا العمر الضائع ؟

- طبعا ' ولكن إذا قدمت اليك نصيحة هل تعد بقبولها ؟

- باخلاص

- إذن فسأقابلك فى الطريق بعد خمس دقائق

. . .

ولما التقيا فى الطريق قالت إيرين

- إننا لن نتعارف بعد . إن اسمى مارلى

- واسمى دافيس - فرانك دافيس

- حسنا ولكنك فى الواقع كنت مزعجا لى هذا الصباح على إننا سننسى ذلك

وسارا جنباً الى جنب فى الطريق بين صفين من السياج الكثيف الاخضر الذى تعلوه الازاهير البيضاء الفاتنة ثم عرجا فى ممر ضيق وسط الحقول المعشوشبة المخضرة الزاهية ووقعت انظارهما على بناء النادى فقالت ايرين وهى فخورة

- نادينا

- ثم ميدان الالعاب وفيه الجم من النضال العنيف

ونظرت اليه الفتاة وكان الفتى جميل الوجه حسن الملامح فقالت له

- كم من الزمن ستقضيه هنا ؟

- اسبوعين . فانى رجل كثير المشاغل ولسبب لست ادريه دعتنى عمتى لقضاء حين معها . وانى لسعيد انى لبيت دعوتها . . . الآن

فقالت ايرين وهى تحاوره

- ولماذا؟

فنظر اليها الفتى وفى عينه بريق وقال

- لأنى وجدت من يقوم بتدريبى كيف ألعب الجولف

وكانت ايرين شاردة الفكر وهى تضع الكرة للشروع فى اللعب ثم قالت

- أذكر أنه قدم الى هنا منذ عامين فتى يدعى دافيس كذلك . فهل هو أحد عشيرتك ؟

فقال فرانك

- ابن عم من بعيد . بعيد جدا حتى كدت أنساه

ـ يظهر أنه لم يلعب فى الأيام الأخيرة . فهل هذا صحيح ؟

ـ ليس كثيرا . ولكن كيف عرفت ذلك ؟

ـ انه لم يندمج فى المسابقات والمباريات على كل حال

وضربت ايرين كرة فطارت فى طريق مستقيم ثم وقفت فى منتصف الطريق

ووضع فرانك كرته وضرب بقوة فنطت قليلا ووقفت بعد بضعة أمتار

وجعلت ايرين تلقى عليه تعليماتها وهو يظل على اخطائه حتى انتهى الدور فقال فرانك

ـ ما رأيك فى دور آخر اننى بدأت أحب هذه اللعبة الظريفة

ـ ولكنى قد لعبت اليوم كثيرا فاذا لعبت مرة أخرى فان أعصابى ستفسد لا محالة

ـ ولكنى أظن أنك قد أحسنت اللعب

ـ وأنت لم تحسنه وهذا هو سبب انهاك القوى

ـ إذن هلم بنا إلى البار لنتناول شيئا من المرطبات

***

وقفلا راجعين إلى داريهما وهما يتحدثان فى ود عن الجولف وعن غيره من الأمور الأخرى .

ولما وصلا الى باب حديقة ايرين تريثا قليلا وقال فرانك

ـ ان هذا المكان موحش

ـ أهو كذلك ؟

ـ أعنى موحش لفرد واحد ـ فرد مثلى قد وفد الى هذا المكان ليقضى فيه أسبوعين فليس هناك متسع من الوقت للتعارف

ـ إلى ما يؤدى كل هذا ؟

فسعل فرانك ثم قال

ـ هل هناك فرصة نستطيع أن نتقابل فيها مرة أخرى هذا المساء ؟

فقالت ايرين جازمة

— كلا بتاتا

— إذاً فالى الغد

— قد أستطيع أن ألعب معك دوراً آخر فى الصباح

ولكنى لا أعد بشىء

فافترق عنها فرانك وهو كئيب النفس إذ كان يرى ما سيكون عليه مساؤه من الانقباض والوحشة فلم تكن عمته كات من يحلو له قضاء السهرة معها .

ولما تناول عشاءه ذهب الى الحديقة ليضرب فى نواحيها.

وكانت الليلة بديعة والقمر يطل عليه من عليائه وينشر ضوءه الفضى على الأرجاء وكانت البلابل تشدو وتغرد شدوها الطروب .

ولما اقترب فرانك من سور الحديقة المطل على حديقة ايرين طرق مسمعه صوت انسان يتكلم فى خفوت

ولم يكن فرانك فضوليا ولكنه لم يملك إلا أن يضع قدمه فى ثقب فى السور وأطل من فوقه

وكانت ايرين فى الحديقة مرتدية ثوبا أبيض وجالسة على مقعد مداد وعند قدميها كان فتى راكعا . وكانت ايرين تتحدث عن الجولف وفيما كان فرانك ينصت الى حديثها إذ رأى الشاب يقبل يدها

ورأى فرانك أن لا موضع له فى هذا المكان وأن لا محيد عن الانطلاق فرفع إحدى يديه وأراد أن يمسك بجذع شجرة ولكن يده قبضت على ساق شجرة ورد متسلقة فأصابته شوكة اصابة مؤلمة فأخرج صوتاً مسموعا كان من جرائه ان انبعث الفتى الراكع عند قدمي ايرين واقفاً وتقدم إلى السور حتى وقف أسفله ونظر الى فرانك فأراد هذا أن يهدىء من ثائرته وأن يخرج نفسه من هذا الموقف فى نفس الوقت فقال وهو يبتسم

— ليلة جميلة ! ألا تظن ذلك ؟

— ماذا .. ماذا تعنى بالتجسس علينا ؟

— انك تسىء الحكم على . دعنى أوضح لك الأمر

— لا تضايقنى فاذهب من أمامى قبل ان انفجر

— يظهر أنك نشوان فاذهب الى مكان هادىء ونم قليلا عسى أن تفيق

فأدار الفتى وجهه الى إيرين وقال

— اذا سمحت بالدخول الى الدار بضع دقائق أيتها العزيزة فانى أستطيع أن ألقى على هذا الفتى درساً فى الاخلاق

فقالت ايرين ببرود

— لا تكن سخيفا يا أرشى . لم يكن المستر ديفيس يتجسس علينا وأظن أن من الواجب أن تعتذر اليه

فقال ارشى محتدا

— لن أفعل شيئا من هذا . اذا لم يكن يراقبنا فماذا كان يفعل اذاً ؟ أكان يرقب الأفلاك ؟

فقالت ايرين

— إذن لابد لى أن أعتذر اليه . فهل لك يامستر

وكانت ايرين فى الحديقة مرتدية ثوبا أبيض وعند قدميها فتى راكعا على ركبتيه

ديفيس أن تتفضل بالمجيء ؟

— بكل سرور

وأسرع الى اعتلاء السور والهبوط منه الى جانب ارشى فدمدم هذا ببضعة ألفاظ غامضة ونظر اليه فرانك مبتسما وسار فى طريقه إلى أن وصل إلى ايرين وجلس بجانبها

فقال ارشى

— انى ذاهب . ليلة سعيدة

— ليلة سعيدة يا ارشى

ودخل ارشى الى الدار وبعد قليل رأياه منطلقا فى طريقه ثم لم يسمعا وقع أقدامه

وقالت ايرين لفرانك

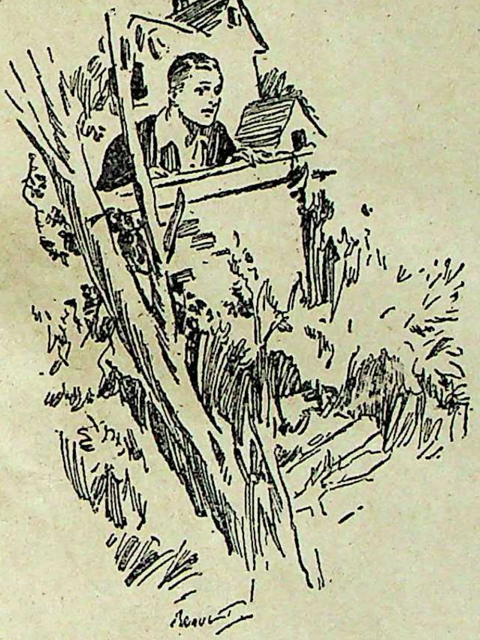

ووضع فرانك قدمه فى ثقب في السور وأطل من فوقه

— هذا هو ارشى باوارز . وأنا مخطوبة اليه

فأحس فرانك بما شعر به فى الصباح حين أصابته كرة ايرين فى قفاه فقال وهو كالمذهول

— أقدم لك تهانى

— حين أقول انى مخطوبة أعنى أننى كالمخطوبة . فقد سألنى ارشى منذ ثلاث سنوات أن أتزوج منه وضايقنى كثيرا بالحاحه . فاشترطت عليه أن يتغلب على كل لاعبى الجولف فى مباريات هذه المدينة ثلاثة أعوام متعاقبة ولم أكن بطبيعة الحال أظن أنه سيفلح فى ذلك ولكنه شرع لتوه فى التمرين والتدرب على لعبة الجولف فى كل يوم من أيام حياته فى غضون هذه المدة واستطاع أن يفوز عامين متتاليين وليس هناك على وجه البسيطة سبب يحول دون فوزه وانتصاره هذا العام فى الأسبوع القادم . هل هناك سبب ؟

— لاأظن أن هناك مايحول . ولكن ألم يكن هذا غباء منك ؟

— من المحتمل أن يكون الأمر كذلك . ولكن الحقيقة أننى كنت صغير السن فى الثامنة عشر من عمرى وكنت مغرمة بالجولف متيمة به ، وفضلا عن ذلك فانى كنت على يقين حازم أنه لن يفوز . ولا أستطيع أن أنكر أنه شاب مهذب

— قد أستطيع لو دأبت على التمرين أن أفوز فى الاسبوع القادم

وضحك ملء شدقيه ولم تتمالك ارين أن تضحك كذلك ثم قالت ارين بعد قليل

— يجوز ألا يفوز على الرغم من ذلك . فقد يحدث طارئ وشعر فرانك بما يختلج فى صوتها من نبرة الأمل

— انسيه وانظرى الى القمر

— ان القمر ثالثنا

— هل تشعرين ببرودة الجو ؟

وأحاط فرانك خصرها بذراعه . وقالت ارين

— ألا تحب أن تكون عضوا فى نادينا ؟

— ما قيمة الاشتراك ؟

فضحكت ارين وقالت

— ان قيمة الاشتراك تدفع مرة واحدة وهى زهيدة وعلى كل حال فستنعقد اللجنة مساء يوم الجمعة وستنتخب عضوا . فهل تسمح لى أن أقيد اسمك غدا ؟

— افعلى والآن فدعينا من الجولف لحظة

— لاتنس اننى مخطوبة

— انك لست مخطوبة فان ارشى لم يفز بعد الفوز الأخير

فقالت ارين وهى تضحك

— لاأظنك تظن أنك ستتغلب عليه

— طالما وقعت حوادث عجيبة نادرة

— انبئنى بحادثة من هذه الحوادث وأنا أصدقك

وافترقا أخيرا بعد قضاء هزيع من الليل فقال فرانك وهو فوق السور

— سأراك اذن فى الصباح

— سأصفر لك

وفى الصباح صفرت ارين والتقيا وسارا فى طريقهما الى ملعب النادى

ولعب فرانك فى هذا الصباح خيرا من الأمس . وقيدت ارين اسمه فى طلب الاندماج فى سلك النادى وقال فرانك

— هل لعبت هذا الصباح جيدا ؟

— كلا

— لقد ظننت انى أحسنت اللعب فاننى لم أحسنه كما أحسنته اليوم

— هل لك فى شوط آخر بعد ظهر اليوم ؟

— أخشى ألا أستطيع فان لدى بعض الاعمال ولكنى أستطيع أن أقابلك هذا المساء

— لاأظن ذلك فانى لاأستطيع أن أمكث معك طوال اليوم وعلى فكرة هل أنت عازم على دخول هذه المباراة ؟

— وما الفائدة سأرى مبلغ تقدمى فاذا أحسنت اللعب فانى أندمج فى المباراة . أظن أنهم يقبلون الاندماج فى آخر لحظة

— طبعا حتى نهاية الساعة الرابعة من مساء السبت

— والآن فهل سأقابلك هذا المساء ؟

— كلا . ولكنى سألعب معك شوطاً فى صباح الغد اذا أحببت

— إذن صفرى لى

وكان ارشى فى الملعب حين وصلا فى صباح اليوم التالى وكان عازما على التودد اليهما واستأذن أن يلعب معهما شوطا

اذا أحب المستر ديفيس . وكان المستر ديفيس أشد رغبة فى اشتراكه معهما ، وظهر ارشى بمظهر المتفوق عليهما معا والمشرف على لعبهما وكان لايفى يلقى على ديفيس بعض تعاليمه وأخيرا ضحك فى أدب وقال

— أظن يامستر ديفيس أنك غير صالح للعبة الجولف ولكن المسألة كلها فى الواقع متوقفة على المران

— أشكرك على هذه الكلمات الحلوة . هل تريدين أن نتناول فطورنا هنا أم فى الدار

— هنا

واشترك ارشى معهما فى تناول الفطور وكان ديفيس يرى أن ارشى لولا ادعائه التفوق فى كل شىء والظهور بمظهر من يرعى من كان حوله لكان من أظرف الناس خلقا وأدمثهم طبعا . ولكنه دعى يتظاهر بالتفوق فى كل شىء وان كان لايفكر أنه يجيد لعبه الجولف

وتمكن فرانك من قضاء ليال كثيرة مع ارين وبخاصة تلك الليلة التى سبقت يوم المباراة وكانت ارين فى تلك الليلة هادئة ساكنة فاستفسر فرانك منها عما يدعوها الى هذا الصمت فقالت ان بها صداعا خفيفا

فقال فرانك فى رقة

— أتذكرين الحقيقة ؟

فابتسمت اليه ابتسامة خفيفة وقالت

— قد تكون الحقيقة .

— انك خائفة

وحاولت أن تظهر عدم الاكتراث فلم تستطع وقالت

— مم أخاف ؟

— خائفة أن يفوز ارشى غدا . أليس كذلك ؟

فاعترفت بالحقيقة وفى صوتها نبرة الألم والأسى وقالت

— لقد سألنى أصيل اليوم عما اذا كنت محافظة على وعدى ، ولم يكن هناك مناص من أن أقول له : نعم . وعلى ذلك فاذا فاز غدا فليس أمامى ألا أحد أمرين : اما التزوج منه ، واما اخلاف وعدى . وهذا شر من ذلك

— أليس هناك أمل أن يتغلب عليه أحد المتبارين

— لاأظن ذلك ؟

— لاتزعجى نفسك على كل حال

وانبثق فجر ذلك اليوم وضاء وانقشعوا . وفى الساعة الحادية عشرة صباحا ابتدأت المباراة بين اثنين ثم تتابعت واشترك ارشى فى المباريات الاولى وترك الملعب فى منتصف الساعة الثالثة ثم عاد فى الساعة الخامسة . أما فرانك فقد اندمج فى المباريات فى الساعة الرابعة .

وقابلت ارين ارشى حين عاد وكان وجهه يتلألأ ويبرق فقال لها

— لم ألعب خيرا مما لعبت اليوم . والحقيقة لم أرتكب هفوة واحدة .

وأخبرها بما فعل فكانت تنصت اليه وقلبها منقبض ونفسها كئيبة ثم قالت له أخيرا

— أظن أنه ليس بين الباقين من يمكن أن يخشى أمره

— كلا . وقد فزت بقصب السبق فيما أظن

وتركته ارين والناس مقبلين عليه مهنئين وعادت الى بيتها تجر ساقيها جرا

وظهر الشفق الاحمر كالطعنة النجلاء فى كبد السماء واعتلى فرنك السور وأصدر من فيه صفيرا فخرجت اليه ارين فى بطء وتؤدة ، وأدرك فرانك لأول وهلة أنها كانت تبكى وتنتحب

وقالت ارين

— حسنا ؟

— حسنا .

— ان ارشى يستحق أن يفوز

— لقد فاز

فصاحت ارين فى صوت اليائس

— أوه فرانك ماذا أقول له حين يجىء . اننى لاأريد الاقتران به ولا أبتغى أن أخلف وعدى كذلك

فأحاط فرانك خصرها بأحد ذراعيه وقال

— انه لن يأتى

— ولماذا لايأتى ؟

فقال فرانك فى ابتسامة حلوة

— دعينى أقص عليك قصة صغيرة . زعموا أن فتى كان يجيد لعبة الجولف زار عمة له فى احدى المدن لقضاء أجازة له تبلغ أسبوعين . وفى اليوم الأول من زيارته

ذهب الى ملعب الجولف بهذه المدينة وبيده ثلاث كرات ومضرب حديدى لأنه أحس بحاجة الى التمرين بالمضرب الحديدى ووقعت أنظاره فى هذا الملعب على غادة حسناء ممشوقة القد ساحرة اللحظ تلعب الجولف وحدها فجاشت لرغبة فى قلبه أن يتعرف اليها وشرع يلعب فى تؤدة وبطء الى حد ضايقها ثم أصابت كرتها قفاه دون أن تحدث له ضررا وان كان قد ادعى انه أصيب اصابة مميتة ولما أفاق من غشيته اتهمته أنه لايزال حديث عهد بلعبة الجولف. ولمالم يكن لديه اعتذار يقدمه فقد أقر بحداثة عهده فى هذه اللعبة

فقالت ايرين

— والآن جاء دورك فاصغ الى قصتى . زعموا أنه كان بالمدينة فتاة كانت تحسب الجولف هو كل شىء فى الحياة الدنيا وجاءها فتى يطلب الاقتران بها وكان يجيد لعبة الجولف فوعدته بالاقتران اذا هو فاز فى المباراة السنوية ثلاثة أعوام متعاقبة بغض النظر على كل شىء آخر . وفاز الفتى بقصب السبق عامين متتالين ورأت الفتاة نفسها أخيرا أنها وقعت فى الشرك . وتذكرت أنها تعرف سيدة جليلة لها ابن أخ طارت شهرته فى لعبة الجولف كل مطار فذهبت الى هذه السيدة ورجتها أن تدعو ابن أخيها لقضاء بضعة أسابيع . والتقت الفتاة بهذا اللاعب المشهور وهى تجهل شخصيته واتهمته أنه حديث عهد بلعبة الجولف . ولما وقفت على مبلغ خطئها بعد ذلك كان الوقت متأخرا جدا فكان عليها أن تدعى

فقاطعها فرانك قائلا

— هل كنت تعرفين كل هذا الوقت من أنا؟ وهل أنت من طلبت إلى عمتى أن تدعونى خصيصا للتغلب على ارشى ؟

فقالت ايرين فى ضعف

— نعم واخالك الآن حاقداً على .

— على النقيض فلو كنت حاقداً عليك هل كنت تظنين أننى ألعب معك كل هذه المدة الطويلة بمثل هذه الطريقة التي اتبعتها ؟ وهل كنت تظنين أننى أذهب الى ملعب يبعد عشرة أميال كل أصيل لا لشىء إلا لألعب الجولف ؟

فأمسكت ايرين بكتفه وهزته قائلة

— هل تغلبت على ارشى ؟

— بمرحلة كبيرة واعتقد أننى ضربت الرقم الأقصى المحدد فى هذا الملعب

— مسكين ارشى

فقال فرانك

— انسيه . انظرى إلى الكواكب .

— الكواكب تشرف من عليائها على اثنين

— وماذا لو ائتلف الاثنان فى يوم ما

— هل تريد منى أن أقترن بك لا لشىء الا لأنك لاعب ماهر ؟

— كلا أيتها الحبيبة فهناك أسباب أخرى . وأنت يا ايرين السبب الحقيقى

وفتح لها ذراعيه فترامت على صدره وأمال رأسها على كتفه والتقت الشفاه بالشفاه ثم انفرجت عن قبلة لا تزال تحن اليها قلوب العالم طرا .

سيدة فرنسية انجليزية الاصل

تعطى دروسا فى اللغة الفرنسية والانجليزية فى البيت . وتقبل وظيفة سكرتيرة أو مربية

شهادات حسنة .

الآنسة تيرى

عند مدام أوجانعوم . بعمارة فرنسيس بالدور الخامس . بشارع المغربى . بمصر

الشرطى رقم تسعة

هبطت «باملا ترنت» من قطار الساعة التاسعة واحتملت حقيبتها معها وسارت على افريز المحطة حتى وصلت الى الباب الخارجى وهناك وضعت الحقيبة ووقفت تنتظر وكانت الليلة قرة باردة الهواء، والجو مشبع بالرطوبة والقمر شاحب الضوء.

ومضى الوقت فقالت باملا تحدث نفسها

— يظهر انى سأقضى الليلة كلها فى هذه المحطة الرهيبة. ليتنى ماقدمت لرؤية دار عمتى الجديدة.

وهمت أن تمضى الى غرفة الانتظار طلباً للدفء ولكنها سمعت صوت سيارة قادمة فأدارت وجهها الى الطريق فاذا بها ترى السيارة قد وقفت بجانب الافريز على كثب منها فجال فى خاطرها أن السيارة مرسلة من قبل عمتها لتقلها الى الدار كما كان الاتفاق بينهما

وهرعت باملا الى السيارة وقالت

— أقدمت لتقابل المس باملا ترنت

ولكنها حين تبينت سائق السيارة ذهلت واتسعت حدقتا عينيها فقد كان السائق شابا جميلا مرتديا رداء البوليس وعلى ياقة الرداء شارة البوليس وعليها رقم ٩ يومض على ضوء القمر.

وبادرت باملا فقالت

— معذرة... فلا أحسبك قادما من قبل المس ترنت القاطنة فى وستكوت جرين

فابتسم الشاب وقال

— هذا حقيقى ياسيدتى. ولكنى أرجو أن أستطيع القيام بخدمة سيدتى اذا أحبت

وكانت لهجته تدل على الثقافة ومظهره يدل على الكياسة وخالت باملا انها لم تر أجمل منه بين رجال الشرطة.

وقالت له باملا

— أشكرك كثيراً. لقد كنت أريد الذهاب الى وستكوت جرين وكان من الواجب أن أصل الى محطة فيرلى فى الساعة السابعة بعد ظهر اليوم ولكنى لم ألحق القطار فأبرقت الى عمتى وظننت أنها ستبعث الى بمن يقودنى الى دارها لأنى لم أهبط هذه الناحية من قبل ولكنها لم ترسل أحداً وهأنذى واقفة هنا.. فى حيرة من أمرى.

فقال رقم تسعة وقد فتح باب السيارة

— أرجوك أن تركبى

وأطاعت باملا فركبت بجانبه لأن السيارة كانت ذات مقعدين. وانطلقت بهما السيارة

وقال رقم تسعة والسيارة في طريقها

— لامفرلى من الاعتراف انى أجهل هذه البقعة بيد اننا سنلتقى ان عاجلا أو آجلا بمن يستطيع أن يدلنا عن الطريق

فقالت باملا وهى تضحك

— اتفاق عجيب

وساد الصمت قليلا ثم قال رجل البوليس

— أحسبك ترين معى ان نزهة السيارة جميلة فى مثل هذه الليلة فهاهى ذى الأشجار تبدو كالمردة فى ضوء القمر، والطريق قد أحاطت به الأسيجة من جانبيه يبدو غامضا لأنما يقودنا الى ناحية غاصة بالمسرات وحوريات الجنان.

— نعم ولاريب. وانى لأظن ان كثيرا من مثل هذه الخواطر تجيش فى صدوركم حين تقومون بعملكم ليلا

— هذا حق ياسيدتى على ان هذه ليلة فذة

وكانت فى صوته نبرة عجيبة جعلت باملا تحدجه بانظارها. على انه كان ينظر الى الطريق قبالته وعلى وجهه ابتسامة خفيفة حلوة.

وسرعان مابدت لها الحقيقة فأيقنت ان هذا الشاب واقع فى شرك الغرام فهو يحب ويعشق وهاهو ذا يحلم بفاتنته ومالكة لبه. وما أسعدها فتاة تلك التى يحبها مثل هذا الفتى.

وعادت باملا فقالت

ـــ أظن انه قد أزال كثير من القيود التى كانت تقيد رجال الشرطة فيستطيع الشاب الآن مثلا أن يتزوج وهو صغير

فأجاب رقم تسعة قائلا

ـــ حقا ياسيدتى

وصمت لحظة ثم أردف قائلا

ـــ ولكن على المرء أن يعثر على الفتاة بادىء الأمر أليس كذلك ؟

ـــ طبعا

وهذا يستغرق وقتا

ـــ ليس هذا دواما فكثير من الناس يتزوجون فى وقت قصير جداً

وأطاق الشاب أول قنبلة فقال

ـــ هل تعتقدين فى الحب من النظرة الأولى

فضحكت باملا وقالت

ـــ اعتقد بلا ريب

ـــ ليست كل الفتيات على هذا المنوال وانى لمسرور أن تعتقدين في مثل هذا الحب لأننى أدين بهذه العقيدة كذلك . انظر الى اننى فى الثامنة والعشرين من عمرى وقد التقيت بمئات من الفتيات الحسان فلم ينبض قلبى لواحدة ولم تثبت صورة احداهن في ذهنى لحظة واحدة . ثم التقيت أخيرا بفتاة ولم يمض أكثر من خمس دقائق حتى أيقنت أنها هى فتاتى الوحيدة فى هذا العالم . قد يبدو هذا جنونا . . . .

وقطع حديثه ونظر الى باملا مستطلعا وأدركت هى أنه يريد منها أن تجادله وتعادله فقالت

ـــ كلا . فتقدم تفز .

ـــ يالهى . . . سوف أحاول

وسطع ضوء كشاف على حين فجأة بهر أنظارهما وكان الضوء منبعثا من سيارة كبيرة . فاقترب منها ثم وقف الشرطى سيارته وقال يخاطب الرجل الذى كان منحنيا على السيارة يصلح عدتها .

ـــ هل لسيدى أن يدلنا على الطريق الى وستكوت جرين

فترك الرجل سيارته و أقبل على سيارتهما وكان شابا طويل القامة ضخم الوجه .

ونظر الشاب الى رقم تسعة ثم الى باملا ثم قال فى دهشة

ـــ يالهى . مس باملا ترنت كما أعتقد .

فذهلت باملا وقالت

ـــ لست أعرف من أنت ولا ماذا تعنى ؟

فضحك الشاب وقال

ـــ من السهل أن أفضح الأمر . اننى أدعى كلود الكز وأقطن بجوار عمتك وقد طلبت الى أن أقابلك ولكن السيارة أصيبت بعطل فألزمتنى هذا المكان . ولقد استطعت أن أعرفك لأننى رأيت صورتك فى غرفة استقبال عمتك . أليس هذا واضحا ؟

فأومأت باملا برأسها أن نعم

وعاد الشاب فقال .

ـــ اذن فاخرجى من هذه السيارة العتيقة وساصاحب سيارتى فى لحظة واحـــدة وأعود بك الى عمتك فى أخصر وقت ،

وتضايقت باملا من نبرات صوته ولهجته في الحديث فلم تتحرك من مكانها . ورأى الشاب منها هذا السكون ففتح الباب وقال فى لهجة الآمر

ـــ عجلى بالهبوط .

ـــ اننى مرتاحة هنا . أشكرك

فحاق اليها كلود وقال

ـــ لاتكونى سخيفة . فلا أحسبك تستطيعين قطع طرقات المدينة وانت مع شرطى فى سيارة واحدة .

وقبض كلود فى هذه المرة على رسغ يدها بيد ان رقم تسعة انبعث قائلا في لهجة الآمر

ـــ اترك السيدة

ـــ لاتتداخل فيما لايعنيك يا كنستابل

وحاول مرة أخرى أن يكره باملا على الهبوط من السيارة .

وقال « رقم تسعة » دون أن يفوه بكلمة وأمسك بيد كلود بيد من حديد وقذف به الى الوراء .

وهبط كلود من خندق

وأقفل باب السيارة على باملا ورفيقها الشرطى وانطلقت بهما فى طريقها .

ثم قال « رقم تسعة » فى هدوء

ـــ أرجو ألا تكونى متأففة من أن تركبى سيارة مع شرطى

ـــ اننى أفضل ذلك على الركوب مع حـــديث النعمة متعجرف

ـــ أشكرك يامس ترنت

وساد الصمت بينهما لحظة وطرق مسمعها صوت السيارة منطلقة وراءهما وهى تقترب منهما ثم اجتازتهما

فقال « رقم تسعة »

— هذا صاحبنا منذ لحظة منطلق الى المس ترنت ليبلغها ماحدث فلو اننا تتبعناه لوجدنا طريقنا الى عمتك

وضغط بقدمه فانطلقت بهما السيارة تسابق الريح .

ووصلا أخيراً إلى دار وقفت أمامها سيارة كلود .

وهبط الشرطى وناول باملا حقيبتها وقال في صوت تختلج فيه نبرة حزينة

— مساء الخير ياسيدتى وأشكرك على تفضلك بركوب السيارة معى

فامتدت اليه يدها وقالت فى صوت يغلب عليه التأثر

— انى أشكرك أجزل الشكر على لطفك . مساء الخير ياسيدى والى اللقاء .

واتجهت صوب الباب . وانطلقت السيارة فأحست بألم يستولى على قلبها حين فكرت انها لن ترى هذا الشاب مرة أخرى

وكانت راشل خادمة عمتها واقفة فى الردهة حين دخلت باملا فبادرتها بقولها

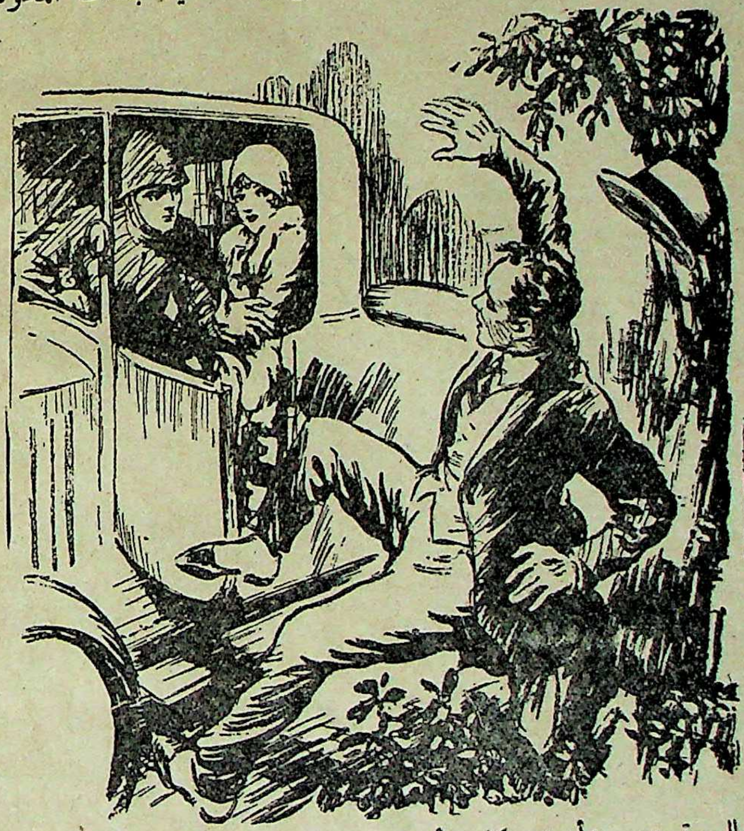

ومال «رقم ٩» دون أن يفوه بكلمة وأمسك بيد كلود بيد من حديد وقذف به الى الوراء

— أوه مس باملا ماذا فعلت مع المستر اكلز ؟ لقد أنبأنا أنك ستكونين في الدار بعد لحظة فى سيارة شرطى . ولقد تضرر المستر اكلز حتى لأحسب أن عمتك ستجد فى الترفيه عنه « شغلانه » .

— خذينى الى الطابق الثانى حتى اذا ذهب عدت الى الطابق الأول لأننى لا أود رؤيته مرة أخرى

وسارت أمامها راشل تحمل الحقيبة الى الغرفة التى خصصت لها ثم قالت لها

انك مضطرة أن تقابليه مرة أخرى لأنه سيذهب بكما الى مرقص فيرلى تون في هذه الليلة . فأعدى خير ثيابك بينما أخطر عمتك بمجيئك

وبعد لحظات حضرت عمتها وهى مرتدية ثوبا جميلا وقد بدت فاتنة فيه وقالت لها وهى تقبلها

— انى مسرورة جداً لرؤيتك . ولكننى كنت أود ألا تكونى قد آلمت المستر اكلز المسكين .

— آسفة ياعزيزتى . لقد كان فظا غليظ الطبع فلم أحتمل منه ذلك . ألا تستطيعين التخلص منه الليلة حتى نقضى المساء معا

— كلا والا كان ذلك فظاظة منا نحو الليدى بلاكبردج التى أرسلت الينا بطاقات الدعوة . فيجب أن نذهب ونستمتع بهذه الحفلة . والآن فيجب أن أعود اليه واذا كنت بحاجة الى شىء من الطعام فاطلبى ذلك من راشل

— كلا فقد تناولت عشائى وسأهبط بعد عشر دقائق

— أرجو أن تكونى لطيفة مع كلود ؟

— أعدك من أجلك ياعمتى .

— أشكرك يا عزيزتى .

ولما ذهبت العمة عادت راشل الخادمة فقالت لها باملا

— حدثينى أكثر عن المستر اكلز .

فنظرت اليها الخادمة بعين تومض ثم قالت

— انه شاب غنى جداً من أهالى القرية المجاورة . واسمحى لى أن أقول انه هام بحبك حين رأى صورتك الفوتوغرافية فى غرفة الاستقبال ومنذ ذلك الوقت وهو لاينفك يبدى رغبة حارة لرؤيتك فلما ان استلمت عمتك بطاقات الدعوة لهذه الحفلة وجدت انها فرصة حسنة لوجودك هنا . ولكنك أتيت فآلمت هذا الشاب العاشق

وجرحت قلبه قبل أن تتعارفا ... لا بأس فقد تعود المياه الى مجاريها فى حفلة الرقص .

فقالت باملا في صوت لا تختلج فيه نبرة الأمل

ـ ربما

وهبطت باملا وهى فى ردائها الجميل تمثل الجمال والحسن وما ان رآها كلود حتى اغتفر لها ذنبها وحياها تحية الوصى على القاصر فكادت تصفعه ولكن نظرات عمتها أذ كرتها بوعدها السابق .

ولما ركبوا السيارة جلست العمة بجانب كلود حتى وصلوا الى مكان الحفلة .

وهبطوا من السيارة ودخلوا داراً رائعة وطرق مسمعهم عزف الموسيقى

ولما خلعوا أرديتهم قالت العمة

ـ والآن فاذهبا معا للرقص

ولكن كلود لم يتحرك وقال فى خشونة

ـ هل لى أن أتحدث الى المس باملا بادىء الأمر ؟

فقالت العمة قبل أن تستطيع باملا أن تجيب

ـ أرجو أن تتوثق بينكما عرى الصداقة

ثم ذهبت فقال كلود لباملا

ـ هيا بنا

وتأبط ذراعها وقادها الى سلم فصعدا حتى وصلا الى « بسطة » عريضة فجلست باملا على السجاد وجلس هو بجانبها ثم قالت

ـ ما الأمر ؟

ـ انى أود أن أجلو الأمور . انى لم أتعود الظهور في حالة مضحكة أمام السيدات ولا بد اننى ظهرت بمظهر سخيف حين ارتميت في الخندق من هذا الشرطى اللعين ولقد كان الخطأ خطاءه هو فأرجو ألا يقلل ذلك من قيمتى فى نظرك

ـ كلا يا عزيزى .

فنظر اليها نظرة الاعجاب ثم قال

ـ حسنا . ولقد قالت عمتك انك لن تسمحى أن يفصل بيننا شرطى مثل هذا ... كلا لا تقاطعينى فطالما تلهفت على مقابلتك

منذ شهور وليس أمامنا الآن متسع من الوقت لأن اجازتك لا تتجاوز اليومين . أليس كذلك ؟

ـ نعم

ـ حسناً ولكن أليس من السخافة أن تشتغل فتاة جميلة فاتنة فى مكتب ؟

ـ انى أحب العمل . أشكرك .

ـ انك بلا مراء تؤثرين الحياة الخلوية مع الثراء العظيم . انظرى الى مثلا . ان لى منزلا جميلا وعندى دخل عظيم ....

فقاطعته قائلة

ـ أظن أنه من الأفضل لك أن تشتغل يا مستر اكلز

ـ ها ها ها . فكاهة جميلة . لنعد الى الحديث الجدى لحظة واحدة . الآن وقد التقينا فانى لا أود أن أفتقدك مرة أخرى . وماذا أقول لك . سوف أفد الى المدينة فى الاسبوع القادم وأذهب معك الى كل المسارح والأندية والمراقص وغيرها مما يجدر بنا أن نراه حتى اذا أمكنك أن تعرفينى خيراً منك الآن فانك إذ ذاك تستطيعين أن تعلمى ماذا أرمى اليه من ذكر الحياة الريفية والدخل العظيم

وبرقت عيناه ووضع يده على ذراعها فنفضت ذراعها من يده فقال وقد وضع كلتا يديه على ذراعها

ـ لا تكونى جافة فظة

وعادت هى فتخلصت من يديه فنظر اليها محملقاً وقال

ـ ماذا حدث ؟

ـ أنت

ـ ولكن ... ولكنى لا أحسبك تكرهيننى ؟

ـ انى أمقتك كل المقت

فنظر اليها وهو مشدوه وقال

ـ هراء . ان كل الفتيات هنا يحمن حولى ويتمنين نظرة منى . فأنا صائد جدير بالاقتناص ، ولكنك أنت الفتاة الوحيدة التى سلبت لبى واجتذبت قلبى . اسمعى . لا تذهبى

وأحست باملا وهى تهم بالوقوف ان كلود يجذبها الى الوراء فحاولت جهدها أن تتخلص منه ولكنه زاد بها تشبثاً وقال

ـ اذن فأنت واحدة من الفتيات العصريات اللواتى يمقتن الرجال . ولكنى لن أدعك حتى أنال منك قبلة .

وتطورت الأمور فى تلك اللحظة تطوراً عجيباً سريعاً واعتلى السلم شبح أسود وقبضت يدان قويتان على ذراعى المستر اكلز حتى اضطر هذا أن يخلى سبيل باملا .

واجتذب كلود الى الأسفل وراح يهبط بظهره درجة فدرجة حتى وصل الى نهاية السلم فقذف به الشبح على الأرض

ثم انبعث كلود واقفا وذهب الى القاعة وهو ينطق

بألفاظ الوعيد والتهديد

وصعد الشبح السلم مرة أخرى — وكان هو الشرطى رقم تسعة — حتى اذا وصل الى الدرجة الثالثة جلس عليها وقال

— هل تسمحين لى بالجلوس هنا خشية أن يعود ؟

— نعم وأشكرك على قدومك فى الوقت المناسب

وابتسم كل منهما الى الآخر وخالت باملا انها لم تر أفتن من ابتسامته ولا أحلى من أسنانه

وقال الشرطى

— يظهر انك بحاجة الى شرطى طالما كان هذا الرجل يحوم حولك . لا ريب ان عمتك لا ترضى عن هذا الشاب

— ان السيدات العجائز اللواتى يعشن فى الخلاء هن خياليات فى الواقع. فقد ظنت عمتى سارا اننى قد أهيم بحب المستر اكلز

فقال الشاب وقد بدت اللهفة فى نظرته

— وهل تم لها ما أرادت ؟

فضحكت باملا وقالت

— بالطبع لا

— من المحتمل انك تحبين رجلا آخر

— حدثنى عن الفتاة التى تحبها

— أحسب اننى لن استطيع أن أصفها فى الحديث

— كيف قابلتها لأول مرة ؟

— كانت صدفة سعيدة . فقد أرادت شيئا وأتاحت لى الظروف أن أعينها

— وهمت بها حبا على الفور ؟ ماشكلها ؟

— مثال الحسن والجمال

— يجب أن تقول لها كذلك حتى تغتبط

— ليست عندى الشجاعة الكافية

— ولكن لماذا لاتتشجع ؟

— أخشى أن يكون الرداء عيبا

— هراء فانك تبدو فيه جميلا . ومن المحتمل أن تعجب بك أكثر مما تظن .

فقال الشرطى

— ضعى نفسك فى مكانها وحاولى أن تتخيلى مايكون احساسك وشعورك حين ترين شرطيا مثلى يغازلك . ألا تصفعيننى على وجهى

— طبعا لأنك تحب واحدة أخرى

— حتى اذا لم أكن أحب أخرى فانك سترين فى هذا الحب مايحط من كرامتك

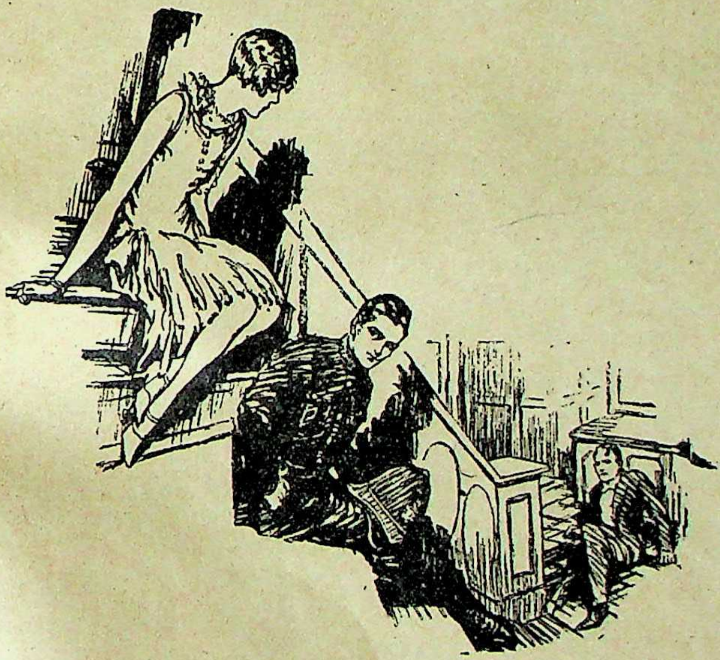

وقال «رقم تسعة» هل تسمحين لى بالجلوس هنا خشية أن يعود ؟

— اذا أنا أحببت شخصا ...

ولم تتم جملتها لأن صوتا قطع عليها حديثها وكان صوت عمتها تقول

— الى هنا من فضلك يا باملا فانى متعجبة من أمرك حقا

وكانت عمتها تحملق اليها وعلى وجهها مظاهر الألم

وأمسك الشرطى قبعته وقال لباملا

— الآن تستطيعين أن تذكرى ماأعنيه بقولى ان الرداء يعد نقصا وعيبا . فاذا كانت هذه عمتك فيحسن بك أن تعجلى بالتبرؤ منى

ونظر اليها نظرة دقيقة كمن يستشف ماوراء الحجب ولكن باملا قالت على الفور

ـ اذا تفضلت فانبأتنى باسمك فاننى أغتبط جـدا بتقديمك الى عمتى

فابرقت أسارير وجهه وقال

ـ إن اسمى بارى كرافن

وهبطا من السلم وتم التعارف ، غير أن العمة أبدت عدم الارتياح الى هذه المعرفه الجديدة . ثم التفتت الى الشرطى وقالت فى صوت عنيف

ـ لقد علمت ياسيدى أنك تعديت على صديقنا المستر اكلز الليلة مرتين . وأننى أكون شاكرة فضلك اذا لم تتدخل بينه وبين ابنه أخى فى المستقبل

فهز « رقم تسعة » رأسه وقال

ـ اذا نفض المستر اكلز يده عن ابنة أخيك نفضت يدى منه . ولن يكون غير ذلك ،

فقالت وقد احتد صوتها قليلا .

ـ أرى أنك شاب صغير لم تتعلم بعد كيف تلتزم حدك وأرجو ألا يكون الدرس قاسيا اذا دعت الحاجة اليه. عم مساء ياسيدى

ودارت العمة سارا على عقبها تهم بالمسير وحياها الشرطى تحية حربية . وفى هذه اللحظة عينها أقبلت فئة من القوم وهم يضحكون وكانت من بينهم الليدى بلا كبردج فقالت توجه حديثها الى العمة سارا .

ـ واذن فانتم هنا . وهذه على ماأظن هى ابنة أخيك التى حدثتنى عنها ؟ عال . . اننى مسرورة أن أراك أيتها العزيزة . . آه اننى أرى أن قد تم التعارف بينكما وبين ابن اخى على مايظهر ؟

فدهشت العمة سارا وقالت متعجبة

ـ ابن أخيك ؟

ـ نعم ابن أخى بارى كرافن . ولقد طلبت اليه أن يندمج فى سلك البوليس وهاهوذا يبدو فى حلته الرسمية جميلا . أليس كذلك ؟

فقالت العمة سارا وهى تحاول ألا تلتقى أنظارها بأنظار الشرطى

واستطردت الليدى بلا كبردج في قولها فقالت

ـ وقد قدم بارى الى هنا الليلة فى اللحظة الأخيرة . أين كنت يابارى ؟

ـ أول شىء ياعمتى اننى أركبت فتاة رائعة ثم بعد ذلك ضللت طريقى ولما وصلت عانيت صعوبة فى ايجاد مكان لسيارتى . وحين دخلت الدار التقيت بالمس ترنت ومكثت معها لحظة أتبادل معها الحديث .

ـ حسناً هيا بنا نتناول العشاء .

وأمسكت الليدى بذراع العمة سارا . وقال بارى مدمدما فى أذن باملا وهو متأبط ذراعها

ـ هل لك أن ترقصى معى بعد العشاء

ولما اقترب نصف الليل ألفت باملا نفسها جالسة على السلم كما كانت من قبل ولكنها في هذه المرة لم يكن جليسها المستر اكلز

وقال بارى كرافن جليسها

ـ انى سعيد انى ارتديت هذا الرداء الليلة .

وكانت باملا تنظر الى قبالتها فقالت فى صوت يكاد يكون جافا

ـ لابد أنك اغتبطت كل الغبطة ان أظهرتنى أنا وعمتى في هذا المظهر السخيف

ـ ماظهرت قط بمظهر سخيف بل كنت على النقيض

ـ لقد ظهرت

ـ كلا فانك مع ظنك اننى شرطى لم تخجلى أن تبدى لى صداقتك وعجلت بتقديمى الى عمتك حين أقبلت . فكان هذا منك جميلا لاينسى، وانه ليدل على أنك اعتقدت أننى من بين الشبان الراقين

القاموس العصري
انكليزي عربي
تأليف الياس انطون الياس
الطبعة الثالثة
المطبعة العصرية مصر

- آوه ؟

- نعم . أن كثيراً من الناس لايتوددون الى الا لأننى غنى فلو أننى كنت شرطياً فقط لقاطعونى كل المقاطعة

ولكنك لم تفعلى ذلك

فضحكت باملا ضحكة خافتة وقالت

- على كل حال ستجد فيها قصة ظريفة تلقيها على مسامع حبيبتك

فابتسم بارى وقال

- انها تعلم القصة بحذافيرها

فنظرت اليه باملا وقالت :

- أهى هنا الليلة ؟

ولقد كان صوتها تختلج فيه نبرة الفزع وأحست باملا - وان كانت لا تعترف بذلك - انها تكاد تختنق وكأنما تهم بالبكاء والعويل

فتاته هنا ؟

اذن فهو حقا يهيم بحب فتاة ؟

بيد أن باملا على الرغم من قوله لم تكن مستطيعة أن تصدق انه شرطى ولكنه... ولكنه ...

وتمالكت باملا نفسها قليلا ونظرت الى وجهه وقالت

- اذا كانت فتاتك هنا ... على كل حال ... اذا كنت تحبها ...

واضطرب صوتها وشعرت ان الأرض تموج بها وان رأسها أصيب بدوار شديد

ولكنها أتمت قولها على الرغم من ذلك

- فهل لك أن تقدمنى اليها ؟

فابتسم بادى وقال لها

هل لك أن تعيريني مرآتك الصغيرة

فقدمتها اليه فقال

- أشكرك

وأمسك المرآة ووضعها أمام وجهها وحملقت باملا فى المرآة دون أن تستطيع أن تفهم ثم انقشعت الغمامة عن عينها لجأة فتراجعت الى الوراء وقالت له

- هل انت ... هل انت تعنى ... ؟

فمد بادى يده وطوق خصرها وقال

انى أعنى اننى قد ارتديت ردائى العسكرى الليلة فسأقوم بوظيفتى وأقبض عليك أيتها الحبيبة !!

وسرعان ما ثنت عنقها على كتفه وتقابلت الشفاه .

لوكاندة الكوارع الوحيدة الكبرى

لصاحبها محمد يوسف

نقلت من شارع محمد على الى شارع الأمير فاروق بالعتبة الخضرة على الشمال وفوق مافى هذا المحل من الأنواع المعروفة فقد أوجد فيه فرع للكباب والكفتة والحمام المشوى وفطور الصباح

تليفون ١٥ — ٤٨ مدينة

الآنسة جوفر

رواية مسلسلة للروائى المعروف مرسيل پريفو (عضو الاكاديميه فرنسيز)

الجزء – ٤ – الفصل – ٣

هكذا تبدأ الرواية

كاميل جوفر تعيش فى منزل منعزل مع والدها الطبيب والخادمة الحمقاء. وقد أحبت وهى صغيرة لويز لوت وتواعدا على الزواج ولكنه اضطر الى الرحيل مع والده إلى مدينة بعيدة وهو يبلغ الرابعة عشرة من عمره. ولما كبرت كاميل وشبت جميلة ظنت أن حبيب طفولتها قد نسيها وكادت تيأس من الزواج منه فحزنت إلا أن جيرانها آل هوك الكاهن: زوجته وبناته الثلاث كن لها خير مسليات. واقترب يوم زواج مارى كبرى الفتيات، ولما كان أهلها سيسافرون معها بعد الزواج فقد أجروا منزلهم للضابط جيا كوميتى. وتعرفت كاميل بهذا الضابط فى حفلة زواج مارت وظنت أنه فرصتها الوحيدة للزواج. وتمكن الضابط من الاعتداء على عفافها. ولما طلبت اليه أن يتزوجها اختفى عن المدينة. واشتد قلق كاميل وخوفها من ان يعرف والدها الطبيب سرها حتى فكرت فى الانتحار. وبيناهى فى شدة الحزن والقلق إذا بحبيبها منذ الطفولة، لويز، يعود اليها وقد صار رجلا وأخبرها أنه لا يزال يحبها ورأت فيه وسيلة للتخلص من العار فتم زواجها منه وشعرا بسعادة عظيمة في ذلك الزواج وسافرا عقب الزواج الى نيس ليقضيا شهر العسل وخلفا الطبيب جوفر وحده في المنزل المنعزل بتونيان. ثم اطلعت كاميل بالصحف على نبأ وفاة جيا كومينى فتحركت فى قلبها علامات الأسى لحاولت أن تخبر لويز بذلك ولكنها لم تجرؤ، وأخيراً صرحت لروبير الطبيب (صديق لويز) فعاهدها على أن يعمل جهده لعدم ظهور الحقيقة أصلا.

ثم عادا بعد شهر العسل الى تونيان حيث ظل يزورهما الشريف روكبيكيه الفتى الأحمق وكان قد أوشك على الزواج فدعا لويز لحضور الحفلة. وفى حفلة زواج روكبيكيه سمع لويز بعض الرجال يتحدثون عن زوجته كاميل، وسمع كذلك عن علاقتها الآثمة السابقة مع جيا كومينى. فاشتد اضطرابه وعاد فى الحال الى والدها وأخبره بما سمع فذهب اليها والدها حيث تأكد من صحة ذلك فلم يسعه الا أن يطلب من لويز أن يسامحه لأنه لم يكن يعرف الحقيقة. ورحل لويز عن المدينة فى حالة تفتت الأكباد. وكذلك صمم الطبيب جوفر على الرحيل كذلك مع ابنته حتى لا يصيرا مضغة في الأفواه. بعد ذلك كتبت جوفر الى بولاو المشرف على مزرعته «ماو» بأنه سيحضر اليه بابنته لتلد طفلها فدهش وعائلته لأنهم لم يعلموا بنبأ زواجها، وفعلا سافر جوفر بابنته الى هنالك حيث أغرمت ماريا بنت بولاو بكاميل وصارت تعمل على مرافقتها. ثم كتب لويز الى صديقه روبير يبثه أحزانه وما يشعر به بعد فراق كاميل ويطلب اليه أن يبعث اليه نصائحه وارشاده

لما أرسل لويز لوت إلى صديقه تلك الصفحات التي كانت تتضمن اعترافاته، مرفقة باستنجاد البائس، خرج من دور الحمى إلى دور الضعف وانحطاط القوى.

كان ذلك نتيجة المجهود العظيم الذى بذله فى ذلك القتال الذى وقف فيه منفردا ولكنه اضطر فى النهاية الى اعلان خذلانه.. وما كان أشبهه فى ذلك بالغريق وهو يتعلق

صخرة وقد أخذ فى النهاية يشعر بانحلال أعصابه وعضلاته وأنه مضطر فى القريب العاجل إلى أن يترك تلك الصخرة التى أمسكت بها يداه ليغرق ويموت .

إن لخذلان الارادة لذته ، وخاصة حين يكون الانسان شاعراً به . وقد أهمل الشاب كل شىء مدة ثلاثة أيام متتالية وقد خدمه ضعفه كذلك فأبعد عنه الأفكار السيئة كما يفعل المرضى إذا دخلوا فى دور النقاهة

الا أنه فى اليوم الثالث بدأ القلق يعاوده . فان روبير لم يحضر ، ولم يرد عليه . ترى أين هو الآن ؟ وما العمل لو رفض الحضور تلبية للنداء الذى تلقاه ؟ وما العمل لو كان قد مات أثناء رحلته ! ان خطابه الأخير ينبىء عن سفره بالبحر فى فصل العواصف والأنواء ولذا فمن المحتمل انه قد غرق . تكاثرت الفروض على ذلك الفكر الحالى المضطرب . أخذ لويز يفكر فى أن صديقه روبير كلاييس قد يمتنع عن الحضور لسبب ما ؟ وقال فى نفسه :

« لو أصابنى مثل ذلك الشقاء فليس هناك شىء بعد ذلك يربطنى بالعالم ويضطرنى إلى الحياة .. »

وأخذ ذلك الاهتمام الجديد يكون عنصراً من عناصر شقائه إذ حول تيار أحزانه وظل مدة أربع وعشرين ساعة يرى فى المستقبل شيئا يعذبه أكثر من كل ماضيه ولو استمر ذلك مدة أخرى لأعاده الى صحته من جديد ولحسن الحظ تلقى فى منتصف اليوم الثالث رسالة برقية عن صديقه روبير يخبره فيها انه فى مرسيليا وأنه قادم بقطار باريز . ووصل روبير اليه فى صبيحة اليوم التالى

ووصل روبير اليه في صبيحة اليوم التالى

قال فيلسوف أجنبى أنه ليس هناك فى العالم أجمل من صداقة شابين عاشا فى حياة مشتركة جزءا من طفولتهما .. حقيقة ان للحب لحواس حادة أكثر من الصداقة ولكن الأنانية هى العنصر القوى فى حياة الحب .. وبالعكس عنصر الصداقة هو عدم المنفعة الشخصية والبرود المطلق وهما أكبر مظاهر العطف الانسانى . شعر لويز أن الصداقة أعلى من الحب مقاما ودرجة حين قذف بنفسه الى ذراعى صديقه وقد اشتد تأثره وشعر بجبهته وقد استندت الى صدر قوى ثابت وان يديه تشدد الضغط عليهما يدا صديق بل أخ ، بينما كان صوت الطبيب الرقيق

يخاطبه بهذه الكلمات المتقطعة :

— عزيزى لويز ... كم قاسيت ! وأنا ما كنت أظنك شقيا أبداً !

أخذ التأثر يجعل كلماتهما متجمة وأفقدهما قوة استعمال الكلمات . ان ما شعرا به اذ ذاك يفوق ما يمكن للكلمات الانسانية أن تعبر عنه ، وأخذا يفكران فى وحدتهما وألمهما حتى خيل اليهما فى تلك الدقيقة أنهما يريان كل الألم وكل الحب الذى تملكه الانسانية العاطفة المحبة

ولما عاد اليهما الهدوء جلس روبير الى جانب لويز وقال له :

— ياعزيزى لويز ! لقد وصلنى خطابك فى مرسيليا ولو أنك تأخرت عن أرساله يوما واحدا لذهب يبحث عنى فى تونس . وقبل أن أقرأ مذكراتك سافرت ، إذ انى ، ويمكننى أن اعترف لك اليوم بكل شىء ، كنت أعرف الحقيقة منذ كنا فى « نيس » . . إن كاميل كانت اعترفت لى بكل شىء .

صاح لويز :

— كنت تعرف الحقيقة ؟ ! لقد كنت أشك فى ذلك ولكننى كنت غير قادر على تصديقه : لماذا لم تتكلم إذاً ؟ إذاً فقد خنتنى وخدعتنى أنت الآخر !

أمسك روبير بيدى صديقه وقال له :

— كم كنت أحقد عليك لهذا الاتهام لو أنك كلته لى فى أى وقت آخر ! .. نعم ! لقد خدعتك وخنتك ! لقد احتفظت بذلك السر وكنت أنوي أن أحفظه الى أن أموت دون أن تغرر الحوادث . وكنت ستراني فى « تونيان » حين يأزف وقت الولادة . لقد كان هذا شيئاً متفقاً عليه بيني وبين زجتك ، وكنت أنتوى أن أجتهد فى ابعاد الطبيب جوفر عن ابنته وبعد ذلك كنت أجعلك تعتقد أن ممنة زوجتك يرجع تاريخها الى سبعة أشهر فقط نظراً لثقتك فى ...

قاطعه لويز قائلا :

— اسكت ... لاريب انك ما كنت تنوى أن تكذب هذه الكذبة المروعة الهائلة ! كيف ذلك ! كنت تريد أن تجعلنى أعتقد أن ذلك الطفل ابنى .. ؟ وربما كنت صدقتك ! آه اسكت ! ان ذلك شىء هائل مروع

نظر اليه روبير بحزن مدة من الزمن ثم قال له :

— نعم . . كنت أنوى أن أفعل كل ذلك . آه ... لاتظن أننى اخترت لنفسى أسهل الطرق .. لقد كان هناك حلان : الاول وهو الذى اختاره الطبيب جوفر فساعدك ضد ابنته ومعرفة الحقيقة مهما كلفه ذلك من ثمن ثم اخبارك بها . وها أنتذا اليوم ترى النتيجة . . فأنت متعب محطم مريض ليس لك أمل فى غيرى ، أنا الذى لا أملك القوة على شفائك ، مع ذلك ، وهى قد فصلت عنك بقسوة .. هى التى تحبك ولا شك انها توازيك مرضاً وتعاسة سلمت لرجل يعتقد أن الحياة تحل كما تحل مسألة الجبر ... بل ربما كانت قد ماتت !

صاح لويز وقد غادر مقعده فجأة !

— ماتت ! ومن أين عرفت ذلك ؟ هل سمعت بعض أخبارها ؟

لاحظ روبير بانتباه الأثر الذى خلفته كلماته الأخيرة

— « كلا ! انى أعرف فقط انهم قد غادروا تونيان .. الأب وابنته ، والناس هناك يعتقدون انهما معك فى نقطة الشمال ، ان هذا هو ما كتبه لى بول دلكومب ..

ثم اردف روبير وهو لايزال يلاحظ لويز :

— « والحل الآخر كان تركك جاهلا كل شىء ، ولو حدث ظرف غير منتظر يثير شبهاتك وكنت فى مكان الطبيب جوفر ، لتصرفت كما فعلت حين كنا فى « نيس » ، كنت استجوبت زوجتك وعرفت منها منذ خمسة أشهر ، وكنت مع ذلك أخبرتك أنها قد حملت منك ولكنكما اليوم تعيشان فى اتحاد ووفاق وسعادة كما كنتما من قبل ولكانت قد نسيت الماضى بسرعة . بل انها كانت ستنتهى بأن تعتقد أن هذا الطفل هو ابنك ما دامت تحبك ذلك الحب الذى رأيته بنفسى . وكنت سترزق بأولاد آخرين ولاستمرت حياتكما فى سلام تام . كم هناك من عائلات سعيدة تحت رحمة مثل ذلك السر ! »

ولم ينقطع روبير كلابيس وهو يتكلم عن تثبيت نظره فى وجه صديقه . ورآه يشحب وجهه ويحمر خجلا وقد لمعت عيناه الواسعتان بسبب الحمى ، عند بعض كلمات ... وقد فتح فمه عدة مرات كأنه يريد أن يتكلم

ولكنه لم يجب صديقه بكلمة ، وما وسعه ، حين انتهى صديقه من الكلام ، إلا أن يبكى بسكون واستمر الطبيب روبير فى حديثه . وكأنه لايلحظ دموع صديقه :

نعم ! هذا ما كنت أفعله ولكن الحوادث قد تطورت وسارت فى طريق آخر ، وها أنت ذا قد انفصلت عن زوجتك بسبب اخلاص والد زوجتك ونزاهته . وأظن أن هذا الانفصال نهائيا فى عرفك ؟

وقف لويز ومسح عينيه بحركة سريعة وأجاب مدفوعا بنوبة من الكرامة الشخصية :

— نعم ، انه انفصال نهائي . أنت ترى انى لا آسف على شيء . إن صداقتك لى قد أضلتك الطريق السوى . هناك أسرار يجب على المرء أن يعرفها حتى لو كان فى معرفها موته . إن من الأفضل ألا يكون الانسان سعيدا إذا كانت ثمن سعادته مثل هذه الكذبة

أجاب روبير :

— فليكن ماتريد . . . انى لا أطلب منك أن تفكر مثلى ، انك رجل وأنت أدرى بما تريد . بل وفوق ذلك إن ماحدث قد أصبح مما لايمكن اصلاحه . إن الموقف دقيق ومع الأسف ، إن ارادتك ليست قوية مثل حكمك وأفكارك . إنك قد جربت الوحدة والعمل ، ولكنك لم تشعر أنك قد شفيت بهما وهناك قوة من الجبن والنذالة تهاجمك من حين إلى آخر . وقد التجأت الى طبيب ليشفى ارادتك المريضة مدفوعا إلى ذلك بتعبك من النضال وبخوفك من السقوط . أليست هذه هى الحقيقة ؟

أجاب لويز :

— نعم . . . أريد أن تشفينى .

أمسك روبير بيديه وقال له :

— حسنا ياصغيرى لويز . لقد أصبت فى التجائك الى وسنقف نحن الاثنين منذ الآن جنبا إلى جنب فى هذا النضال . . . وانت تعرف أن المريض يجب أن يكون مطيعا لطبيبه وواثقا منه !

أجاب لويز :

— لقد نطقت بالحقيقة . . انى أسلم نفسى اليك ، انى أقدم اليك قلبى وجسدى ، وقد انهكهما التعب هما الاثنين . انك ترى انى لا أبكى ، انى قادر على أن أكون قويا ، ماذا تريد أن اصنع ؟ سأطيعك طاعة عمياء

أجابه روبير :

— سأعود بك إلى باريز ، وستمكث معى

— ولكن . . . صديقتك لوسى !

— ان لوسى قد عادت الى مسكنها القديم بشارع فريدلند ونحن لن نقطن هناك ، يمكننا أن نؤجر مسكنا فى (فيلا لامرتين) بشارع بلزاك وبها مساكن جميلة جدا تطل على الشارع ، انى أعرفها منذ زمان طويل

وانتهى ذلك النهار بالاستعداد للسفر . وكان كل من الطبيب والمريض يراقب الآخر . كان لويز ينظر باعجاب وحب إلى ذلك الوجه الذى لوحته شمس أفريقيا وغيرت من لونه ولون شعره الطويل . وكان روبير مرسل اللحية قد انطبعت ابتسامة دائمة على شفتيه حتى انبسطت أساريره وكانت أسنانه تظهر من خلال فمه بيضاء كالعاج وهى كبيرة الحجم متلاصقة . وكان الصفاء يظهر فى عينيه القليلتى الحركة وقد ظهرت فيهما نظرة تدل على الثقة والجد تنبىء بأن روبير يبلغ الخامسة والثلاثين من سنيه على الرغم من صغره إذ كان سنه فى الحقيقة لايتعدى السابعة والعشرين ثبت روبير نظره طويلا ، نظرة الرجل الذى فكر كثيرا ورأى كثيرا على الولد المهزوم الذى التجأ اليه . ولاحظ بحزن أموى تلامى الآثار الخارجية التى أنتجها الألم الداخلى . كان خدا لويز قد أخذا فى التجعد وقد تغير لونهما ، وقد أخذ لون شعره فى التغير واكتسب ذلك اللون السابق للأبيض . أما عيناه فكانا يضيئان ، وقد اتسعت حدقتاها ، بضوء غريب غير عادى ، وفى أحيان كانت نظراتهما تتجه مدفوعة بقوة مغناطيسية إلى نقطة فى الفضاء ، وكانت آهة أو شهقة تهز الشاب من حين الى آخر وتعيده إلى نفسه ، إذ ذاك كان روبير يمسك بيديه ويضغط عليهما دون أن يحدثه . ويحاول لويز أن يبتسم وهو يقول :

— كم تجدنى جبانا ! أليس كذلك ؟

فيجيبه لويز :

لا ! ان هذا ليس من الجبن . انك رجل قوى الارادة ومن أشجع الرجال الذين أعرفهم ، لكن ارادتك مريضة . . ولو أنك أعطيت عاملا قويا جداً كمية صغيرة جدا من مسحوق أبيض معين لوجدته فى اليوم التالى وقد اصبح تحت رحمة طفل صغير ضعيف على الرغم من قوة عضلاته وفى نهاية ثمانية أيام تقضيها فى باريز ستصبح رجلا غير الرجل الحالى .

لا يمكث المرء بباريز وهو لايشعر باهتمام وخاصة إذا كان قد قضى بها الأعوام الأولى التى تفتح فيها عقله أو جزءاً من طفولته . ان تلك المدينة الكبيرة تظهر لهؤلاء الذين يتصورونها مثل جزء لا يقتطع من شخصيتهم ، أكبر من أى جزء ورائى فيها وهى تمثل الحياة المختلطة المزدحمة . والنشاط الحيوى والجامعة التى يرى الانسان فيها كثيراً من الأشياء فى وقت قصير .

وهكذا ، على حسب اوقات الحياة وظروفها يشعر أى شخص بأن باريز ليست غير مخلوق يرغب فيه أو يعرض عنه ما دام قد أحس بضربات قلبه فى حدودها الوسعة أيام شبابه

كان لويز قد غادر باريز فى وقت سئم فيه الدراسة العلمية ورغب فى المؤثرات العاطفية ، فكان يرى فى الريف بهدوئه الذى يحسد عليه وبطء أيامه الخالية من القلق والمخاوف وحيث يمكن للمرء أن يخصص كل أوقاته لمهمة الحب ، راحة لروحه لم يشعر بها فى أى مكان آخر .

ففى بعض الأحيان اذ كان يقضى المساء الى جانب كاميل زوجته لهطول الأمطار واذا عاد اليه تذكار باريز فى خيال المنازل ذات السبع الطبقات والشوارع المتقاطعة المزدحمة آنا والخاوية آنا آخر كان يشعر بشبه حلم مزعج قصير ثم يحول نظره الى الطبيعة الجميلة المحيطة به التى كانت كأنها تهبه سعادة خالدة غير متغيرة .

ففى تلك اللحظة التى كان يعود به اليها صديقه روبير كانت باريز تنتقم منه . فحين نزل اليها لويز شعر باحساس جديد فقد ظهر له كأن هذه المدينة تلخص انتصار النشاط الارادى على لين الحب ، انتصار العقل على الجسم وشعر فى الحال كأن عاصفة حياته تحمله على جناحيها

وقد ساعد ما غمره به صديقه روبير من عناية منزلية فائقة على اشعاره بقليل من الراحة . واعترف للمرة الأولى منذ حلت به مصيبته الكبرى أن اليوم قد مر بسرعة .

وفى ذلك المساء حين تناول الصديقان طعام العشاء وحدهما جلسا على شرفة تطل على شارع فريد لند وأخذا فى التدخين . وسكتا طويلا وكان جزء كبير من مدينة باريز ينكشف أمامهما

وكأن هذه البقعة من المدينة كانت اطارا لصداقتهما منذ كانا شابين ، ومشروعاتهما حين كانت سنهما لاتزيد على العشرين عاما وحين ذكرا كل ذلك فى تلك الساعة العجيبة شعرا بألم شديد يحرق قلبيهما . وشعرا كما كانا يشعران من قبل بسرور اتحادهما واطمأنا الى أن الصداقة التى ربطتهما كانت بالنسبة اليهما هما الاثنين من النوع النادر الثابت . وشعرا فجأة أن كلا منهما يضم الآخر بين ذراعيه وتمتم لويز قائلا :

آه يا روبير ! كم أنا مدين لك لأنك أتيت بى الى هنا !

ورأى روبير كلاييس فى تلك اللحظة أن من الممكن شفاء صديقه وفعلا فى الأيام التالية أخذ يهنئ نفسه على التقدم المستمر فى صحة صديقه ومظهره ، فقد استعاد لويز شيئا من شهيته للأكل وبذا يظهر عليه الاهتمام بالحياة الخارجية وقد صمم على أن يهرب من التفكير فى نفسه ، وأخذ يشرع فى العمل من جديد ، تبعا لنصيحة روبير ، لانهاء المؤلف الذى كان بدأه منذ تخرجه فى المدرسة وهو « تاريخ فلورنسا » والذى كان قد قطعه عليه زواجه .

وكأن النزهات الصباحية فى الغابة تحت الأزهار وأعمال بعد الظهر التى تقطعها محادثات طويلة . والمساء الذى كان يقضيه إما فى احد المسارح أو لدى لوسى ، كأن كل ذلك كان كافيا لاشغال الروح الذى دخلت فى دور النقاهة . أما مسألة كاميل فلم تعد مسألة معدة للبحث بين الصديقين كأن صمتا طويلا بينهما قد حجبها عنهما

ولكن من سوء الحظ أن ألم لويز لم يكن من ذلك النوع الذى تشفيه الموسيقى أو جولات حول البحيرة . كان روبير لا يجهل ذلك فقد كان يفكر فى هؤلاء المرضى الذين تؤلمهم بعض الأعضاء فيعالجهم ببعض المسكنات

الوقتية ، ولكن عملية جراحية كانت ضرورية لشفائهم التام . وأخذ يلحظ دون أن يستغرب ذلك أن الأثر المسر الذى خلفه تغيير الوسط قد بدأ يقل ، آه ، ولقد كان ذلك النقصان مما لايكاد يحس به ، فبدأ ببعض تغيير فى الحركات وبعض سهو وتفكير تجلى فى النظرات وأخذ فى الازدياد شيئاً فشيئاً ، وما لبث لويز أن شعر بحاجة إلى الوحدة دفعه الى الابتعاد عن صديقه روبير والخلوة بنفسه أياماً كاملة فى غرفته بحجة أنه منهمك فى العمل لانهاء « تاريخ فلورنسا » . . . وكان يخرج من هذه الوحدة وقد أضاءت عيناه وقد أصبح كالمحموم فى حركاته وأسرع فى الحديث عن أشياء متماثلة كأنه يريد أن يرىء نفسه على أنها تذوقت المحرم من الأحلام وكان يعامل صديقه الذى يحبه ببعض الغلظة أحياناً ثم كان يعوضه عنها ببعض مظاهر الحب تمتزج بالدموع فى كثير من الأحيان

وإذا قال له صديقه روبير فى الساعة التى كانا يفترقان فيها عند المساء .

— وبعد ، كيف تجد نفسك يالويز ؟

كان يجيبه :

— ولكننى بخير ، انى على أحسن حال ، أؤكد لك . انى هادئ كما ترى ، بل انى هادىء جداً وقد شفيت تماماً .

وكان روبير يفكر فى نفسه قائلا :

« إن هذا الحال لن يستمر طويلا ويجب استعمال وسائل أخرى كبيرة . . إن الحالة دقيقة جداً ، أليس فى مقدور الصدفة أن تتكفل بانهاء هذه النوبة ؟ »

كان روبير وكل زملائه الأطباء ينظرون الى الصدفة نظرهم الى مساعد كبير القيمة . وقد تقدمت الصدفة التى كان ينتظرها روبير ، ففى ذات مساء بينما كان الصديقان يتناولان الطعام على مائدة لوسى اجتذبت هذه الأخيرة روبير الى ناحية من غرفة الاستقبال حيث كانوا يشربون القهوة ، ولم يحاولا أن يسمعهما لويز الذى كان قد سمر على مقعده وكأنه اختفى برهة عن وجه الحياة

قالت المرأة بصوت ضعيف :

— إن « لورنس » قد عادت البارحة من لندن بعد أن مكثت هناك شهراً كاملا تمثل رواية « عالم السآمة » وقد أخبرتها أن لويز موجود فى باريز وانه قد انفصل عن زوجته أو طلق منها ، لا أذكر ، ولكنى أذكر أننى أخبرتها أنه قد أصبح حراً ... وقد أخبرتها بذلك دون اهتمام كما يخبر المرء صديقه بخبر عادى حين يراه بعد غيبة طويلة ... وبمجرد أن انتهيت من اخبارها بذلك اذا بلونها قد تغير وارتمت على مقعد وقد وقعت مروحتها من يدها ..
وأخذت أعالجها بالمنبهات حتى عادت الى صوابها فقلت لها :
« وبعد ! ما هذا ؟ ألا تزالين تفكرين فى هذا الشاب ؟ »
فاعترفت لى المسكينة وقد انهمرت دموعها : انها لا تزال تفكر فيه فعلا ، وانها فشلت فى كل ما حاولته لكى تنساه وانها تود أن تراه ، فأفهمتها ان الشاب يظهر عليه الآن انه لايحتمل محادثة أو مقابلة . ولكنها لم تهتم لذلك وأصرت على رغبتها فى رؤيته ، ورأيتها يكاد يلحقها الاغماء مرة ثانية ولكى أوفر منبهاتى وعدتها أن أحاول مقابلتها به وها أنذا قد أنهيت مهمتى

فكر روبير لحظة ونظر الى لويز فى سكونه وقد جلس على مقعده وثبتت نظراته فى نقطة معينة ولم يهتم باحتساء قدح قهوته الذى ظل على المائدة القريبة منه .. وكان قد نسى من يحيط به من الضيوف وراح فى حلم عميق لايستيقظ منه إلا منزعجاً اذا حدثه أحد

وضع الطبيب احدى يديه على ذراع صديقته وقال :
— ومع من تعيش لورنس الآن ؟
— أظن انها وحدها .. فقد اختفى صديقها القديم بعد أن تلقى ضربة قوية فى (البورصة) قبل أن تسافر هى الى لندن ببضع أسابيع ولا أظن أنها قد اتصلت بأحد إبان وجودها فى انجلترا

قال روبير !

— حسنا ! أصغى الى ... عليك أن تقصى على صديقنا لويز ماقصصت على الآن .. حاولى أن تذكريه له بنفس الطريقة فقد أحسنت جداً فى قصه على

ابتسمت لوسى وسارت فى القاعة حتى وصلت الى حيث جلس لويز فتناولت من أمامه قدح القهوة وقدمته له وهى تقول !

— سيدى العزيز ، هل تسمح لى أن أذكرك بالحياة الراهنة ؟ !

وجلست إلى جانبه ثم أخذت تقص عليه القصة من جديد وقد خفضت من صوتها وأخذ روبير يقلب مجموعة صور بين يديه وهو يراقب التأثير الذى سيظهر على وجه لويز. لاحظه روبير ووجهه يحمر قليلا ثم رآه يبتسم ابتسامة غريبة وفى النهاية رآه يضع أصابعه على فمه كأنه يرجو لوسى أن تكف عن سرد قصتها . وفى النهاية وقف لويز وأمسك بيد المرأة وقادها الى المعزف الذى فتحه وقال لها :

— عزيزتى لوسى ؟ أرجو أن تعزفى لى لحنا من بيتهوفن إذا أردت تبعثى بعض السرور إلى قلبى .

وحاول لويز بقية السهرة أن يظهر بمظهر الفرح ولم يغرق فى أحلامه ، بل وحدث أنه ضحك مرة ، ولكن لا ريب أن تلك الضحكة ظهرت له مزيفة مصطنعة غير طبيعية إذ أنه أوقفها على حين فجأة

وعاد الصديقان وحدهما على أقدامهما حتى منزلهما بنزل (لامرتين) ثم دخنا مدة من الزمن على الشرفة وحين أوشكا على الانفصال ساعة النوم بعد ان انتهى تدخينهما أمسك روبير بيد لويز وحجزها فى يده وقال له وهو ينظر فى عينيه !

— وبعد ! فهل تود رؤيتها ؟

وكأن لويز كان ينتظر هذا السؤال بلا شك فلم يحاول أن يتخلص من صديقه وقال له :

— ماذا تنصح لى أن أفعل ؟

— ياعزيزى : ان هذه حالة دقيقة بعض الشىء يتردد فيها الصديق نفسه فى نصح صديقه .. ولكنك إذا سألتني هذا السؤال بصفتى الطبيب ، أجابك هذا الطبيب يجب أن ترى لورنس

فكر لويز لحظة وقال :

— ولكن أين أراها ؟ انى لا أريد أن أذهب الى منزلها ... إننى لا أجرؤ على ذلك إذا أردت . وأنت أعلم بمقدار خجلي .

تقدمت لوسى من لويز وحملت اليه قدح قهوته وقالت له :
« سيدى العزيز ، هل تسمح لى أن أذكرك بالحياة الراهنة ؟ ! »

— نعم .. حسنا ! غداً صباحا سأكتب كلمة الى لوسى كي تدعو لورنس إلى تناول الطعام عندها وسنذهب الى هناك ، أنا وأنت ، وفكر أنت فيما تريد فعله. فاذا عادت اليك ميولك القديمة حين تذهب الى هناك فى المساء أمكننا أن نعقد المخالفة فى ذات المساء إذ هى حرة مثلك كما

سمعت . وإذا لم تشعر بميل من نحوها عدنا ثانية أنا وأنت وانتهى كل شىء . ولكننى أكرر عليك أن الطبيب يرجو أن تتم المعاهدة بينكما . أجاب لويز بابتسامة صريحة :

— حسناً ! مادام الطبيب هو الذى يتكلم وقد وعدت بطاعته فسأفعل كما يقول

وفى اليوم التالى أظهر لويز لصديقه انه مضطرب محموم بعض الشىء . فكان يسكت ويتكلم بلا نظام ويحاول أن يثبت نظره أمام عينى صديقه روبير . وكان هذا الأخير غير واثق تماماً من أن كل شىء سينتهى على ما يريد وأخذ يقارن فى داخل نفسه بين حالة لويز وحالة الافراد الذين رآهم على شاكلته . أى ذوى الارادة وسرعة الاضطراب فى وقت واحد فى ليلة مبارزة جدية أو عملية جراحية خطيرة

وفى ذلك المساء ذهب الاثنان الى لوسى فى الساعة المحددة ووجدا عند لورنس التى مدت اليهما يدها دون أن تفصل يدها الأخرى عن يد صديقتها لوسى وكانت تخفى اضطرابا عظيما تحت مظهرها الخارجى الشبيه بمظهر الفتاة الصغيرة . وكان لويز شاحب الوجه مجهده من أثر مجهود عضلى عظيم حتى انه كاد يعجز عن نطق بضع كلمات فى مبدأ الأمر وكان كل واحد قد صمم بحالة الآخر فادعى انه لايلحظ شيئاً . وكان ينقص تناول الطعام بعض البشاشة والروح . حاول روبير ولوسى أن يزيلا ذلك التكلف المخيم على المحادثة إلا أن أفكارهما كانت منشغلة بشىء آخر هو مراقبة تلك الرواية الغرامية التى كانت تمثل أمامهما . واستعاد لويز ذلك السرور المصطنع الذى شعر به طول اليوم وكان هناك تقطع فى محادثاته وغرابة فى الحركات غير المنتظرة التى كانت تنبىء عن اضطرابه الداخلى . بل ولقد كسر كأسين إذ كان يضعهما فارغين على المائدة

أما لورنس فكانت أكثرهم ظهوراً بمظهرها الطبيعى وأقلهم ، محاولة اتخاذ هيئة خاصة . فلقد كانت تثبت على صديقها القديم عينان خضراوين صافيتين كالماء الرائق فى البحيرة وكان هاتان العينان كانتا تقولان له :

« انى لا أزال مقيمة على حبك . هل لك رغبة فى ؟ ألا ترى انى ملك لك ؟ آه لو علمت كم سأعنى بك ، أيها المريض المسكين ، لنسيت تلك المرأة الشريرة التى سببت لك الألم ، ولتبعنى ! »

واذ عاد الأربعة الى غرفة الاستقبال انسحب روبير وعشيقته لوسى الى الشرفة وتركا لويز ولورنس وحدهما . فى الغرفة المضاءة بمصباح واحد صغير ، وكانت لوسى تحاول أن تنظر اليهما من وقت لآخر لترى ماتم يدفعها حب الاستطلاع الموجود فى كل بنات حواء حتى ان روبير ماكان يسعه غير الابتسام له . إذ ذاك كانت تقول له :

— ان الحال فى تقدم . . انهما على مقربة بعضهما من بعض . . أمسك لويز بيدها . . . انهما يتحادثان . . . أمسكا عن الحديث . . . لورنس تمسح عينيها بمنديلها

وكان روبير يفكر فى نفسه قائلا :

كم تسر النساء لكل ما يمس الحب . إن من يعدون أنفسهم ليكونوا محامين أو مهندسين ليسوا الا متوسطين فى قوة ملاحظتهم . . والحق أنه ليست هناك غير وظيفتين تصلحان للنساء إذا كان لابد لهن من وظائف . . ولكن كيف يمكن أن نذكر لهن ذلك دون أن تغضهن ؟ »

واذ تبين أن المقابلة الحبية قد طالت بين لويز وصديقته التفت الى لوسى وقال لها :

— ادخلى الى الغرفة واعزفى لحنا على (البيانو) بكل مالديك من مقدرة . بالأمس وجدت عزفك جامدا تنقصه الروح . تخيلى نفسك اليوم فى المعهد الموسيقى أمام هيئة من الماليين . نظرت اليه لوسى وقالت :

— أيها القاسى !

ثم دخلت وجلست الى المعزف وبدأت تعزف قطعة من « ميريم ، كونى امرأة ! » وهى احدى ألحان جونو الموسيقى الشهير فى (مارى مادلين) ومن أشدها تأثيرا ووقعاً فى النفس . وقد عزفتها بمهارة فائقة لم تعزف بمثلها من قبل فكأنها كانت تبكى المعزف وتجعله يشهق ، وقد تبين تأثرها الشخصى إبان عزفها . اذ أن قلبها كان تأثر فعلا دون أن تلحظ من طول الساعات التى اهتمت فيها بغرام الآخر . واذا انتهت من العزف كان لويز قد ظهر عليه الهدوء وأخذ ينظر الى لورنس التى كانت تنتحب .

لا تشربوا

غير بيرة الاهرام والابراهيمية

فانها تنعش الجسم

وتلطف من حرارة الصيف

وهى بيرة مصرية للمصريين

مطبعة الجديد بشارع فؤاد الأول نمرة ٦٤ بولاق مصر